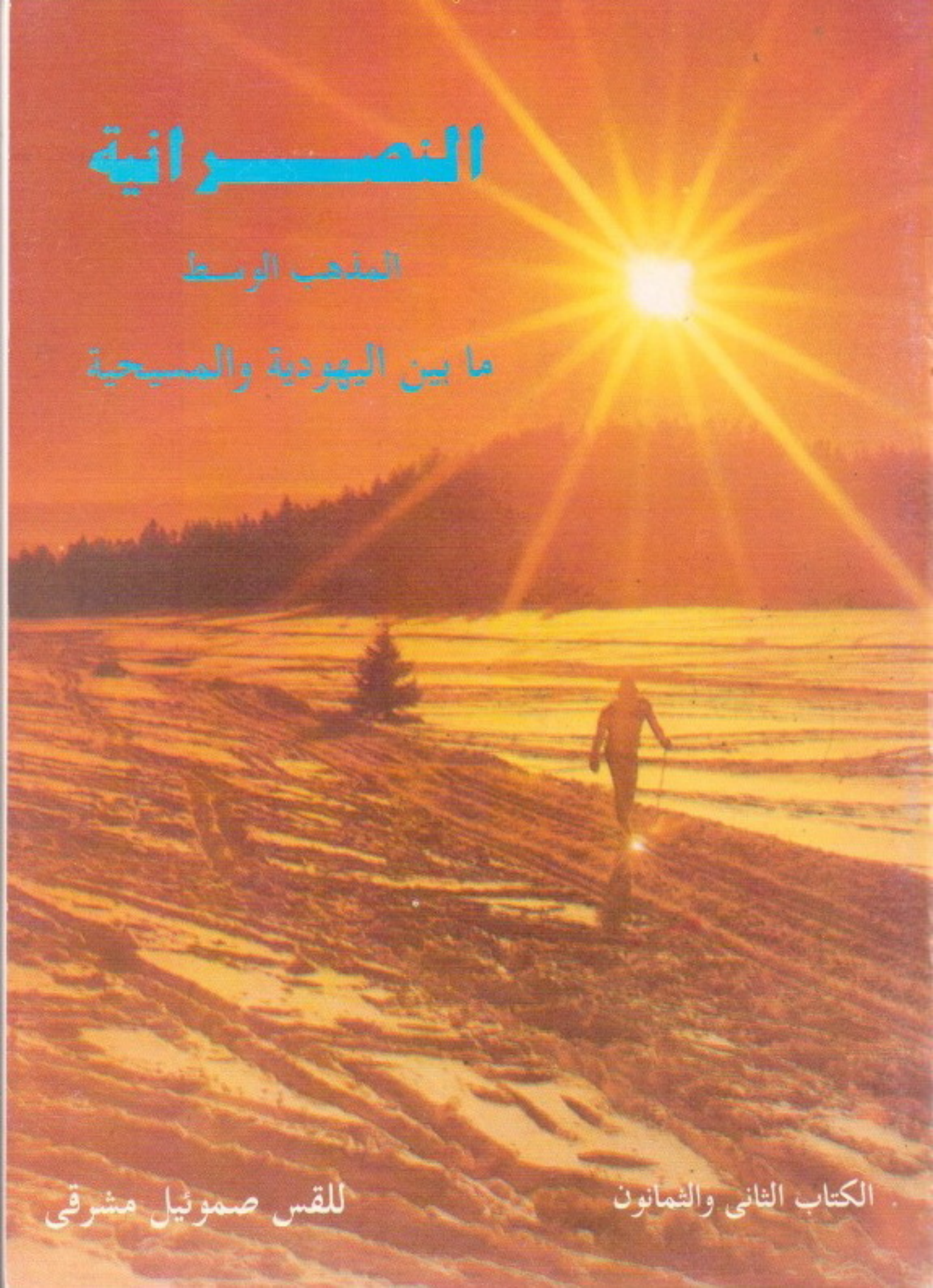

النصرانية

المذهب الوسط

ما بين اليهودية والمسيحية

الكتاب الثانى والثمانون

للقس صموئيل مشرقى

الكتاب الثانى والثمانون

النصـــــرانية

المذهب الوسـط

ما بين اليهودية والمسيحيـة

بقلـم

القس صموئيـل مشرقى رزق

صدر عن الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى
٨ شارع احمد باشا كامل بجزيرة بدران
شبرا - القاهرة ت ٧٧٥٦٧٦

كلمة تعريف

« النصرانية » كلمة اشتقت من « الناصرية » وهى المذهب أو الشيعة التى اتصفت بها الفرقة اليهودية التى آمنت بأن يسوع الناصرى هو « المسيح » (أى المسيا المنتظر) ورأت أن تجعل انتسابها إليه عن طريق مدينة موطنه « الناصرة » ، وهى كلمة ورد عنها فى قاموس المعجم الوسيط أنها من « النصر » ، وأنها مؤنث « ناصر » وجمعه « أنصار » وهو ما وصف به الحواريون – تلاميذ المسيح بالقول عنهم بأنهم « أنصار الله » وتحرف الاسم إلى نصارى ، مع أن وروده الأصلى فى سفر الأعمال إنما كان تحت اسم « الناصريين » !!

أما كلمة « الناصرة » نفسها فقد جاءت فى بعض اللغات بمعنى « النذيرة » أما فى لغة الكتاب المقدس الأصلية فهى تعنى « نسر أو فرخ أو غصن » للدلالة على أن « المسيا » الذى سينتسب إليها ويحمل إسم « الناصرى » قد ظهر كنسر أو فرخ من شجرة اليهودية الميتة !!

* * * *

ولما ظهر يسوع الناصرى انتسب إليه الذين آمنوا به وتسموا « الناصريين » – هذا هو الانتساب الذى قرره لأنفسهم أتباعه الأولون الذين كانوا من البيئة الإسرائيلية وفضلوا اختيار هذه التسمية وهى تكشف لنا انهم ليسوا أهل الإنجيل على الإطلاق كما يوهم التعبير الدارج الذى يصفهم بـ « النصارى » : لكنهم الأمة الوسط ما بين اليهودية والمسيحية ، فلا هى بقيت يهودية ولا هى اندمجت فى المسيحية ... ولذلك فليسوا هم المسيحيون كما عرفوا فيما بعد وعبر العصور !!

ومن ثم فإن اطلاق اسم « نصارى » على أهل الإنجيل جميعهم ، وامتداده تلقائياً بطريقة فرضية شمولية مطلقة–على سائر المسيحيين ، بعد أن ورد تعبير « النصارى » كناية عن « الناصريين » بالذات أى الفرقة التى آمنت بالمسيح من اليهود – فان ذلك الامتداد كان من باب التغليب فقط ، وهو أمر يدعو للأسف الشديد ... فانه من نكد الدنيا على المسيحيين أن أطلقوا عليهم منذ الفتح العربى اسم « نصارى » على خلاف الحقيقة ، إذ أنه تجاوز لها إذ كان

هذا الإطلاق يتجه أصلاً إلى الفرقة الإسرائيلية التى آمنت بالمسيح فى البداية ، وهم غير المسيحيين التابعين للمسيح فى الدنيا كلها والذين يعرفون فى العالم كله منذ العصر الرسولى إلى الآن بأنهم مسيحيون لا نصارى ، واسمهم كمسيحيين هو وحده فقط الشائع عنهم بوجه عام !!

* * * *

ومن ثم كان لابد من إعداد هذا الكتاب فى سبيل البحث عن الحقيقة لذاتها ، وهو يكشف عن أن « النصرانية » ليست هى « المسيحية » ، وفى ذلك تبديد لوهم شائع حتى اليوم–وهو أن النصرانية والمسيحية شىء واحد ، وانهما لدى جانب كبير من الرأى العام إسمان لعقيدة واحدة وإنما كان ذلك تجاوزاً على سبيل التوسع الذى لا يوجد ما يبرره : بل إن الاختلاف هنا ليس مسالة لغة فحسب ، وإنما هو مسألة عقيدة أيضاً ، فقد افترقت العقيدتان النصرانية والمسيحية رغم الاختلاط الظاهرى بينهما ... مما لا تخفى أضراره وخطره الجسيم كما يتبين لنا من ثنايا هذا البحث الفريد !!

ومن ثم فقد التزمنا باصدار هذا التأليف بعد أن قدمناه فى حلقات دراسية فتم بذلك تمحيصه والتأكد من صحة محتوياته كتابياً وتاريخياً ، وذلك لكى ينتفع به أبناء هذا الجيل من الناطقين باللغة العربية ، وإنقاذاً لهم من هوة الضلال التى ربطت النصرانية بالمسيحية على مدى عصور طويلة وإلى اليوم !! فى حين أن النصرانية قد ذابت وتلاشت من الوجود ولم يعد لها أثر فيما عدا الاطلاق الوهمى لها على المسيحيين – وهو أمر باطل من جهة الواقع نفسه الذى يكذبه – باعلانه عن الذين انتسبوا لاسم المسيح وقد ملأوا كل الأرض بأنهم قد تميزوا عن غيرهم بتسمية أنفسهم «مسيحيين» !! وبينما اكتفى اليهود المؤمنون بأن يكونوا «ناصريين» أى «أتباع يسوع الناصرى » إذ بالمؤمنين الامميين يتم فيهم إطلاق لقب « المسيحيين » عليهم والأمر هو هكذا منذ ذلك الوقت وإلى مالا نهاية !!

المؤلف

الجذور التاريخية المشتركة للديانة الكتابية

« أليس أب واحد لكلنا . أليس إله واحد خلقنا » (ملاخى ٢ :١٠)
« لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الانبياء . ما جئت لانقض بل لأكمل » (متى ٥ :١٧)

* * * *

بداية الاعلان الكتابى فى التراث اليهودى :

هناك إجماع بأن الدين لابد من أن يكون واحداً ، وقد بنى بعضهم على ذلك الظن بأن الله أنزل أدياناً مختلفة العقائد والتسميات ، وهو ظن خاطىء بنيت عليه نظرية « النسخ » والتى بموجبها اعتبرت « المسيحية » ناسخة ومبطلة لليهودية ، وبالتالى يكون الدين الذى جاء بعد المسيحية ناسخاً ومبطلاً لها ... وذلك يتنافى بالطبع مع وحدة الاعلان لتوحد مصدره الإلهى ، وكذلك تدرجه أى وصوله تدريجياً إلى أن تكامل فأصبح واحداً ومتكاملاً : ولا شك **أن هذا الاعلان قد بدأ باليهودية التى تأسست رسمياً على يد موسى كليم الله – وهو الذى أعطى « التوحيد » شكله القانونى** – والواقع أن « التوحيد » ليس بعقيدة جديدة قط تنسب إلى أية ديانة تالية ، وإنما هو فى الواقع مطلع الإعلان عندما نشأ دين الوحى عن طريق « الديانة اليهودية » وقد بدأ بشريعة الوصايا العشر التى سلمها الله لعبده موسى ، وقد أكدت الوصية الأولى منها هذا التوحيد المثالى فى القول : « انا الرب الهك ... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » (خر ٢٠ :٣,٢) وكان الأنبياء يتابعون تعزيز هذا التوحيد ، وجاء المسيح فأكده وأكمله دون نقض لما جاء فى الناموس والأنبياء على الإطلاق ، ومن ثم فلا غرابة أن جاء القرآن بعد ذلك يخاطب اليهود والنصارى بأن :« إلهنا وإلهكم واحداً » !!

ولا شك أن فى اعلان المسيح بأنه لم يأت لكى ينقض الناموس والانبياء تأكيداً بأن المسيحية لم تكن ناسخة أو مبطلة لليهودية وإنما هى مكملة لها – ولذلك كان العهد القديم نصف كتاب المسيحية المقدس والنصف الآخر هو العهد الجديد – ويدل ذلك لا على نسخ المسيحية

للديانة اليهودية بل على أنها امتداد لها وتفسير وتحقيق – ومن ثم لا يصح اعتبار ظهور المسيحية بعد اليهودية تعاقباً فى الأديان ولا تعدداً فيها ...

* * * *

ولقد كان من الطبيعى أن يجىء إعلان الوحى المكتوب متدرجاً – أى على مراحل يكمل بعضها بعضاً (أش ٢٨ :١٠) – وذلك كان أمراً منتظراً لأن البشرية لم تنضج نضوجاً تاماً دفعة واحدة ، فكان من المنتظر مرور وقت كاف إلى أن ينضج عقل البشر فيتم حينئذ الإعلان ويهتدى البشر بنور الوحى كاملاً !!

وإذ قد تم ذلك فاننا نجد أجزاء ذلك الإعلان الإلهى قد تكاملت الآن وأصبح يتكون منها دين الوحى – وهو اعلان الوحى المكتوب فى التوراة والإنجيل ، والذى لا مجال فيه لتطور مزعوم يلحق به تمشياً مع نظرية تعاقب الأديان ، الأمر الواضح البطلان فى ضوء « الإعلان التدريجى » لدين واحد ، وإلا لما ثبتت شريعة الوحى ولامتنع على البشر التحقق من الهداية ، مما يظهر معه بطلان الإدعاء بتأخير هذه الهداية إلى ما بعد عصر التوراة والإنجيل مما يقال فيه أنه جاء لينسخهما ويبطلهما ، وهذا ادعاء لا يقوم على أساس ، إذ أنه فى ضوء ما ذكرناه يفتقر إلى أى دليل أو برهان ليثبته !!

الجذور التاريخية المشتركة فيما بين اليهودية والمسيحية :

إزاء وحدة الدين على أساس وحدة مصدره – كما سبق البيان – كان لابد فى ضوء الاقرار بالاعلان الوارد من التراث اليهودى ، أن نبحث عن مدى مطابقة الإعلان المتكامل له فى المسيحية ، وهل هما متفقان أم مختلفان وذلك باعتبارهما من مصدر إلهى واحد ، ويؤكد لنا الفحص الدقيق أن بينهما رابطاً مشتركا يمكن أن يطلق عليه « الجذور التاريخية المشتركة وهى :–

أ – التوحيد الإلهى :

تميزت اليهودية فى مواجهة كل الأديان الوثنية من حولها بموقف التمسك باصرار بـ « وحدانية الله ».. وخاصة بعد الرجوع من السبى البابلى فصاعداً فلم تعد اليهودية تسقط مرة أخرى فى الوثنية إذ قد ميزوا نهائياً بين الله – الإله الحى – وآلهة الأمم الأصنام ... وكان ذلك

هو مطلع الخلاص فى شكل انتشار ديانة التوحيد عن طريق المجامع العديدة المتناثرة فى منطقة البحر المتوسط خلال القرون الثلاثة التى سبقت المسيح !

ويتضح لنا من ثنايا نصوص العهد الجديد أن المسيح أيد هذا « التوحيد » وأقره وجاهر به – مع أنه لأجل تكميل الاعلان بدأ يكشف عن « سر الثالوث » دون أن ينقض بذلك هو ورسله فيما بعد حقيقة ذلك « التوحيد » ...

وبذلك اعتبر « التوحيد الإلهى » من الجذور المشتركة فيما بين اليهودية والمسيحية ، وهذا يسقط الإدعاء بأن ديانة الوحى المتمثلة فيهما كانت تجهل هذا التوحيد إلى أنه ظهر فيما بعد فيمن جعلوه كل شىء ورفضوا كل ما عداه ...

ب – انتظار المسيا :

كان هذا الانتظار هو أعظم أمنية لدى اليهود – وقد اضحى هذا الأمل المسيانى شائعا فى ارجاء العالم الرومانى – فى زمان ما قبل مجىء المسيح بفضل اعلان اليهود عنه باصرار وثبات ...

وقد انتقل ذلك فى المناداة باكتمال الزمان واقتراب ملكوت الله باعلان يوحنا المعمدان عن ذلك ، وهو نفس الإعلان الذى استلمه منه المسيح مقرراً بأن الملكوت صار بينهم – لقدومه كالملك (المسيا) الذى يتمثل فيه ذلك ، وحتى بعد موت المسيح وقيامته كان التلاميذ ينتظرون مملكة مسيانية على الأرض » (أع ١ :٦) ويمكننا تصور الجو الذى عاش فيه اليهود منتظرين « المسيا » لو تأملنا حالة التوقع لدى المؤمنين فى الوقت الحاضر فى انتظار مجيئه الثانى ! وبذلك قد وجدنا أن « انتظار المسيا » ، إنما هو من الجذور التاريخية المشتركة فيما بين اليهودية والمسيحية ، رغم اختلاف وجهتى النظر بينهما فى ذلك فى رفض اليهودية الايمان بأن يسوع الناصرى هو بعينه هذا المسيا ، وايمان المسيحية به أنه كذلك ، مع اشتراكهما حالياً فى انتظار قدوم « المسيا » وذلك لاتمام النبوات الواردة عن تحقيق ملكه فى مجيئه الثانى العتيد الحدوث !

جـ – تقديس التوراة :

كان اليهود يقدسون توراتهم تباعا ، ويصحبونها معهم أينما ذهبوا ، وقد قاموا بتخصيص أماكن لها كانت ذات أثر بارز فى نشر المسيحية فى أيامها الأولى ألا وهى « المجامع اليهودية »

– ظهرت كبديل لهيكل أورشليم أثناء السبى البابلى وأصبحت فيما بعد جزءاً مكمّلا للحياة اليهودية ، ومن خلالها اقترب اليهود والمتهودون من الأمم إلى رؤية أفضل – وكان بولس يبدأ كرازته فى المجمع كأول مكان يذهب إليه فى رحلاته الكرازية ، ومن قبله أعلن الرب يسوع وتلاميذه الالتزام بالولاء للعهد القديم باعتباره كلمة الله والاقتباس منه – وهذا أعد الطريق للمسيحية القادمة بامداد الكنيسة الوليدة برسالتها بإحالة العهد القديم إليها الذى كان قد قرأه كثير من الأمميين وتعرفوا منه على العقائد اليهودية – ومعظم المهتدين إلى المسيحية من اليهودية يُرجعون الفضل فى ذلك إلى العهد الجديد ، فانتقل الائتمان على كتب العهدين القديم والجديد إلى الكنيسة لتقوم باستخدامهما .

وهكذا كانت التوراة : من الجذور التاريخية المشتركة بين اليهودية والمسيحية بدون أدنى خلاف أو اختلاف ، وبضم العهدين معاً واعتبار كتبهما « أسفاراً مقدسة » أطلقت المسيحية عليها جميعها معاً « الكتاب المقدس » !

د – تقويم الاخلاق :

لقد أثمرت الجذور السابق بيانها فى إنتاج أنقى نظام أخلاقى فى الوجود – فالوصايا العشر بمستواها الأخلاقى الرائع تقف فى تباين واضح مع النظم الأخلاقية السائدة فى تلك الأيام ، حتى أنه قد أضحى التطبيق الفاسد للتعاليم الأخلاقية بواسطة من كانوا يعتنقونها من قبل أقرب إلى الأساطير الوهمية .. وبالنظرة الشمولية هنا لحقيقة الشر انفتح الطريق لإتيان الخلاص من الله ! ويتضح من تعاليم المسيح أنها لم تبطل الالتزام بالناموس الادبى (الوصايا العشر) وإنما زادتها عمقاً فى إدراك معانيها وتوسيع نطاقها لتشمل الجانب الروحى الخلقى منها بحسب ما ورد عنه فى « موعظة الجبل » الخالدة !!

* * * *

هذه هى الجذور التاريخية المشتركة بين الديانتين اليهودية والمسيحية باعتبارهما معاً « بداية الإعلان الإلهى ونهايته » ، وهما بذلك دين الحق الذى بلغ تمامه باكتماله فى المسيحية فاستحق الانتشار والتقدير باعتباره « دين الوحى » ، « الدين الواحد » الذى تم

به تحديد حياة المجتمع البشرى بأسره ، إذ أنه من الخطأ تصور امكانية إحداث مثل هذه التغييرات بشكلية الدين الخارجية وكنتيجة لممارساته التقليدية ، أو عن طريق فرض نظام معين يقيد حرية البشر ويمنع من تحريرهم ليكونوا أحراراً فى اختيار واختبار ما يؤدى إلى تغيير حياتهم وسعادتهم وضمان أمنهم ومصيرهم ، فان مثل هذه الصورية والشكلية مما يعتبرونه من « الجذور المشتركة » انما هو أبعد ما يكون عما أثبتناه فى الإطار الصحيح للديانة الكتابية الموحدة مما يفقد أصحابه – بالطبع – الإرشاد الصحيح الذى يرتبط بروح الدين أى الروح الداخلية المعبرة عن الحقيقة الكيانية ، وهى التى تعطى العقائد والممارسات وجودها الحقيقى وحيويتها النابضة .. !!

* * * *

وقد اختلط هذا الأمر على بعضهم فظنوا أن « الجذور المشتركة » هى ما تنفرد به الكنائس القديمة والتى يجب الرجوع إليها وقبولها بلا قيد أو شرط بل وبدون بحث أو تحليل ، الأمر الذى أدّى بالطبع إلى سريان هذا التصور فى أرجاء المسيحية فى شكل الادعاء بأن أى كنيسة معينة بالذات هى التى تتجمع فيها هذه « الجذور المشتركة » مما يستوجب أن تلتقى عندها وتتجمع فيها الكنائس الأخرى « على أساس تقدير تلك الجذور رغم الاقرار بتوزع مجال الحق فى ربوعها بأكملها » !!

والمعنى فى ذلك يخرج عن نطاق الاتقان فى الأساسيات – الأمر الذى يعتبر الخروج عنه فى حكم البدعة أو الهرطقة ، وأما سريان الإتقان إلى كافة التفاصيل بأسرها فانما هو نداء جرىء يدعو إلى أن تفقد المذاهب المسيحية وجودها وملاشاة كياناتها فى سبيل هذا الاندماج المزعوم – أيا يكون شكله – وذلك على أساس الزعم بانهاء الاختلافات الفرعية كلية – مع انها قد تمثّل جوانب من الحق المعلن فى كلمة الله وهى من هذا الوجه لها قيمتها التاريخية والواقعية بل قد يكون لها تأثير مصيرى مما يستحيل معه تنفيذ هذه الفكرة فيما عدا التقارب الظاهرى الشكلى ، وبالأولى هنا تقدير التحرر الفكرى فى بحث أعماق المسيحية العقيدية وسموها الروحانى !!

الفصل الثانى

ملكوت الله فى معناه المطلق

« الرب هو إله حى وملك أبدى » (أر ١٠ :١٠)

« لأنى انا ملك عظيم قال رب الجنود » (ملا ١ :١٤)

« ملكوته ملكوت أبدى » (دا ٤ :٣)

« لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ... لأن ها ملكوت الله داخلكم »
(لو ١٧ :٢٠,٢١)

* * * *

الله صاحب الملكوت بالمعنى المطلق :

رأينا مما سبق كيف أن تعاليم العهد الجديد تمتد جذورها إلى تربة العهد القديم ... ومن هذه الجذور المشتركة نبت إعلان « ملكوت الله فى معناه المطلق » : ومن ثم فقد كانت خلفية هذا الاعلان فى الناموس والأنبياء – وكان بدء ظهور الإعلان عن ملكوت الله فى ذلك النطاق المشار إليه ...

كان ذلك أمراً طبيعياً ومنتظراً لأن الله هو صاحب هذا الملكوت وهو ملكه بالمعنى المطلق – أى المعنى اللامحدود واللانهائى من كل وجه – ومع ذلك فانه بحسب إعلانات الوحى نفسها نراه غير منظور من خليقته ، لأن جوهر لاهوته – فى وجوده الباطن الخفائى – لا يمكن رؤيته ، **فكونه سبحانه هو الملك أمر واجب التسليم ولا يقبل المناقشة ، ولكنه وهو غير منظور كيف تنظره خليقته وترتبط به ! ؟** هذا أمر فى حكم المستحيل من وجه التنزيه البالغ الذى يعزل الخالق عن خليقته ، **ولذلك فان الوقوف عند هذا الحد من الاعتراف لا يحقق ولاية الله الفعلية** ، وكأن الله يملك ولا يحكم ما دام هو غير مرئى وتستحيل مقابلته والتعامل معه ...

* * *

ولكن لكى يملك الله ويحكم فعلاً يستوجب أن يكون الوجود الإلهى جامعاً للتشبيه مع التنزيه ، مع أنهما متناقضان ، فالتنزيه يعنى الخفائية وقطع الصلة وأما التشبيه فانه يعنى الظهور والقرب ، وهذا الجمع بينهما أمر ليس فقط يحوز موافقة التفكير السليم ، بل هو مؤيد باعلان الوحى المتكامل الجامع لكليهما وهو ما يليق بالألوهية قطعاً .. **لأنه لكى يكون الله ملكاً حقيقياً على الخليقة يستلزم ذلك أن يكون له ظهور أيضاً كالبطون** ، فان لم يكن له ذلك فان استحالة ظهوره يعتبر بمثابة أمر ينسب العجز لجلاله ، وكأنه ليس هو القادر على كل شىء ، وكيف يكون مقبولاً عندئذ أن الذى منح الظهور لخليقته – وهو المتجلى لذاته بحالة مطلقة أيضاً – وذلك ليعلن ملكوته ويحقق نفوذه على خليقته دون أن تقف فى طريقه أسباب ما تمنعه أو تعوقه عن ذلك الظهور الذى به يتحقق كونه هو بنفسه « الباطن والظاهر » ذاتياً – إذ لا يصح أن يقال هنا بأنه « باطن فى ذاته وظاهر فى صفاته » – كما زعم البعض – لأن ارتباط الصفات بالذات بالنسبة لكل كيان موصوف أمر لا مفر منه بحيث لا يمكن الفصل بينهما قط !!

ومن ثم فليست هناك أدنى غرابة فى اعلان الوحى عن الله بأن : « جميع أعماله معلومة عنده منذ الأزل » (أع ١٥ :١٨) ، وكذلك أنه هو : « الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته » (أف ١ :١١) ولا شك أن خيالنا أيا تكون قدراته لن يمكنه الوصول إلى حكمة وعلم وقوة ومحبة هذا الخالق القدير .. فهو الصانع والعامل وراء كل الاشياء على مجرى التاريخ ، ولذلك فقد نسب المسيح للآب السماوى : الملكوت بقوله : « ملكوت أبى » والعرش بقوله : « عرش أبيه » والسلطان والبيت الأبدى ... الخ .

* * * *

ملك الكون وتعيينه من قبل الله :

يتبين لنا من دراسة علمى اللاهوت والكلام المختصين ببحث ما يمكن ادراكه مما يتصل بالله جلّ شأنه – دون الإحاطة بكنهه وجوهره – أن الله الآب يتمثل فيه اللاهوت غير المنظور ، بينما يتمثل اللاهوت المنظور فى الله الإبن ، واللاهوت العامل فى الله الروح القدس ... وطبعا

من الأمور المؤكدة أن الله سبحانه لا يمكنه أن يعين ملكاً على الكون من خلائقه ، إذ ليس هناك من بديل يحل محله ، ومع ذلك فقد كان هناك رجاء توقع ظهور الله فى شكل انتظار « المسيا » ، وذلك ليس كمجرد منقذ قوى يعمل كنائب منظور عن الاله غير المنظور ، بل باعتبار وحدته فى اللاهوت جاء الإعلان عنه بأنه هو الذى ستتم به صورة « ملكوت الله فى ثيوقراطية كاملة « تخضع لها كل الخليقة » ،**باعتبار أن هذا الحاكم الأعلى الفريد هو دون سواه « الملك الإلهى ، أى الذى تعين منذ الأزل حاكماً للكون بأمر الله نفسه الذى مسحه ملكاً على كل الخليقة !!**

كان ذلك لكونه من جوهر الله وطبيعته أى كائناً إلهياً ليس هو بدخيل على الله ولا هو غيره – وهذا يحتم أن تكون وحدانية الله ليست المطلقة والمجردة ، بل الجامعة المانعة ، فهى جامعة للأقانيم – وهى أصول ثابتة فى الذات الإلهية – ومانعة لادخال سواها فى نطاق الالوهية !!

وقد تحدث المزمور الثانى عن هذا الملك الممسوح معلناً أنه ابن الله الممسوح من قبله ملكا مما هو ظاهر فى القول :« وأما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى » (ع٦) **وهذا يشير إلى تعيين « المسيا المنتظر ، ملكاً على كل الكون ، وذلك باعتبار ظهوره فى الصورة الشبهية التى فيها تجلى الله للخلق حتى يجمع اللاهوت الحق والخلق ، فيكون هذا الملك وهو فى شكل منظور هو بعينه الله المتجلى الذى يتمثل فيه هذا « الملكوت » !!**
ومن ثم فان إعلان يسوع المسيح كالملك الإلهى ليس هو منافسة لله كأنه آخر غير الله ، بل هو تحقيق لفكرة أعلنها الوحى ، وهى أن اللاهوت المحتجب الذى يوصف بـ « الباطن » لابد أن يظهر ويعلن به الملكوت باعتبار أن ذلك أمراً واجباً وجوباً مطلقاً ومنتظراً بكل تأكيد !!

ولذلك فانه هو الذى جاء عنه الإعلان ! « بأن الله أخضع كل شىء تحت قدميه » وأنه وهو يملك الآن « يجب أن يملك حتى يُخضع جميع أعدائه » ولذلك فانه على الرغم مما هو حادث على الأرض من تمرد وعصيان ، إلا أنه فى مركزه كالذى دُفع إليه كل سلطان مما فى السماء وعلى الأرض يحكم على كل شىء ، ويتحكم فى كل شىء – بدون استثناء – **إذ أن له الحكم الشمولى المطلق منذ بدء اعلان الملكوت على الخليقة إلى أن ينتهى الزمان ونظامه الحاضر ، وذلك بمجيئه الثانى الذى يستعلن فيه ملكاً منظوراً تنظره كل عين ويعترف به كل لسان ، فيتحقق انتصار ملكوت الله بهذا الاستعلان !!**

لقد قسم الانسان التاريخ إلى قرون وعصور- لكن الله بسابق علمه اعتبر الألفيات السبعة التى تشغل التاريخ البشرى كله كعصر واحد هو « العصر المسيانى » بدأ فى جنة عدن وينتهى بفردوس الله « النعيم الأبدى » !!

ومن المقطوع به إذاً أن القصد الإلهى الثابت من جهة ابنه « الذى عينه ملكاً على كل الخليقة » وأعطى امتيازاً للمؤمنين به الغالبين أن يكونوا عروساً له شريكة فى ملكه العتيد - وأن هذه هى دعوة الله العليا التى فى المسيح يسوع وهى التى يقاومها الشيطان بكل قوته مع أنه يعلم بأنه لا ولن يستطيع أن يوقفها ، إذ أن هذا المسيا المبارك بقدرته الفائقة سيحقق رجاء البشرية ، باخراج شعبه من أزمة الأيام الأخيرة ، وإتيان أزمنة الفرج من قبله ، وهى أزمنة رد كل شىء ، وهذا هو الملكوت السعيد خاتمة العصور وفاتحة الأبدية !!

ولاشك أن هذا هو السر المعجزى الذى به يدعو الله الامناء والطائعين لكلمته ومشيئته لكى يستعدوا للدخول فيه عملياً بعد قبولهم له ايمانيا ، وكما انه لم يكن قدام الشعب قديماً طريقاً للخروج غير عبور البحر الاحمر بالقدرة الإلهية ، كذلك لابد أن يكون الحال إزاء الخروج الأعظم الذى ينتظر « الكنيسة الحقيقية » الآن ، وهى فى مواجهة الضيقة العظيمة ، فانها تعلم أن لا نجاة لها منها إلا عن طريق « المسيا » عينه باعتباره العريس المبارك لها عندما يأتى ليأخذها إليه فى وقت انتعاش شجرة التين « الأمة اليهودية » وكذلك كل الاشجار أى جميع الأمم الأخرى إذ تنتعش قومياتها وهكذا يدعو الله « شعبه » السماوى للخروج من بابل - وها هم يخرجون منها بالالوف والربوات وهم يتجمعون مُؤيّدين بمعمودية الروح القدس ومتكلمين بألسنة الهيام كما حدث فى « يوم الخمسين »... فان كنيسة القرن الأول - العصر الرسولى - الكنيسة الأولى قد عادت للظهور الآن بعد أن خرجت من التقاليد البالية ونطاق تعاليم الناس وذلك تمهيداً للمجىء الثانى الذى به يتحقق ظهور الملكوت !!

* * * *

الفصل الثالث

ظهور الملكوت فى شخص يسوع « المسيا المنتظر »

« كنت أرى .. وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً » (دا ٧ :١٤، ١٣)

« أنت هو المسيح ابن الله الحى » (مت ١٦ :١٦)

« من الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة .. »(مت ٢٦ :٦٤)

* * * *

يسوع الناصرى ودوره التاريخى :

اتفقت جميع العقائد القديمة فى انتظار ظهور مبعوث من السماء يقوم بانقاذ البشرية وتخليصها من هوة السقوط التى تردت فيها ... وكانت اليهودية بالذات تنتظر ظهوره ، وكان يعرف لديها « بالمسيا المنتظر » اذ آمن اليهود على توالى الزمن بأنه فى وقت الحاجة القصوى سيرسل إليهم « يهوه » الله مخلصاً يغلب أعداءهم ويحضر لهم بركات العدل والسلام الأبديين ، يُدعى « المسيا » الذى تفسيره « المسيح » ، وكانوا يستندون فى ذلك إلى أقوال الأنبياء القدامى وخاصة « دانيال » !

وحدث فى أيام اغسطس قيصر أن زادت آلامهم ومتاعبهم فحسبوها علامة مجىء هذا المنقذ ، ومن ثم فان الكل كانوا يتحدثون عن توقع ظهوره متحيرين فى كيفية ذلك ، ولكنهم اتفقوا بأنه سيأتى سريعاً ...

فلما ظهر « يسوع » وانتسب إلى بلدته « الناصرة » ودعى « يسوع الناصرى » حسبما ذكره متى فى فاتحة انجيله – وهو الذى دون فى البيئة الاسرائيلية ولها قبل غيرها – لم يكن هناك حرج لدى صحابة يسوع الناصرى من الجمع بين اللقبين « يسوع الناصرى » و « يسوع المسيح » ، يدلون بالأول على قوميته ، وبالثانى على عقيدتهم فيه ...

ومن ثم فان فى تعريفه باسم « يسوع الناصرى » لم يكن هناك تكرار لدعوة « يسوع » أنه « المسيح » إذ كانوا قد اعترفوا بذلك صريحا ...

وقد خصص متى انجيله لليهود ، ليقنعهم بأن يسوع إنما هو المسيا بعينه الذى تكلمت عنه نبوءات العهد القديم ، ولم يكن اليهود فى حاجة للتبير عليهم للايمان بالمسيا عند قدومه : إذ انهم كانوا يعرفون ذلك وكانوا مستعدين له .. **أما ما كانوا بحاجة إليه فهو الاقتناع بأن يسوع هذا هو نفسه « المسيا » المتنبأ عنه فى التوراة !!**

وكانت النبوة قد أعطت علامة عن حضوره خصوصاً فى أشعياء بأنه عندما يأتى يعمل معجزات بالجملة ، وحين ظهر يسوع الناصرى وبدأ دوره التاريخى فى الخدمة العامة ذاع صيته وشمل كل الجليل وسوريا واليهودية ، **وبدأ الناس كلهم يتساءلون : « من يكون هذا » ، « ألعل هذا هو المسيح ! ؟ »**

احتار اليهود فى أمره ، وبعد معجزة اشباع الآلاف أسرعوا إليه ليختطفوه ويجعلوه ملكاً ولكنه اختفى – وسألوه فى مرة أخرى : « إلى متى تعلق انفسنا ، إن كنت أنت هو المسيح فقل لنا جهراً » ، أجابهم يسوع أنا قلت لكم ولستم تؤمنون . الأعمال التى أعملها هى تشهد لى » ، ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به .. ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء وغيرهم حتى خشى القادة الدينيون من أن يؤمن الجميع به ، وقد صار عددهم – بحسب تقرير يعقوب الوارد فى أعمال ٢١ – عدة ربوات .. انهم حصيلة من آمن بأن يسوع الناصرى هو « المسيا » مسيح الله ... !!

ربط الناصرى بالمسيا المنتظر :

تربى يسوع فى الناصرة فانتسب إليها وبدأ يعرف بالناصرى ، وأما « المسيح » فهو اسمه الوظيفى ، وهو تفسير للفظة « المسيا » ومعناها الممسوح » وقد جاء وقت بعد أن انتشرت معجزات يسوع الناصرى وأعماله أن سأل تلاميذه ماذا يقولون عنه فأجاب بطرس بلسانهم باعلان مباشر أتاه من الله رأساً بقوله له : « أنت هو المسيح ابن الله» ، وكان ذلك بمثابة ربط تام بين يسوع « الناصرى » ويسوع « المسيح » أى « المسيا المنتظر » !

ولقد كان لهذا الربط أهميته لأنه عندما ظهر يسوع الناصرى وتسمى باسم « المسيح » أى « المسيا » – الذى فيه اتمام رجاء اسرائيل على وجه خاص آمن به عدد كبير من اليهود ومن

الدخلاء المتدينين ... وتكونت منهم الفرقه التى آمنت به من بنى اسرائيل ، أما قادة الشعب فقد وجهوا باقى الأمة إلى موقف رفضه وعدم الايمان به بأنه « المسيا » .. !!

ويذكر البشير لوقا فى الاصحاح الرابع عن يسوع أنه جاء إلى الناصرة وأعلن رسالته وان لها سنداً من أسفار العهد القديم بما ورد فى سفر أشعياء عنه من أنه هو الممسوح الذى مسحه الله وأرسله ليكرز ويشفى ...الخ فليؤمن اليهود إذن بالدعوة وصاحبها ، ولكنهم رفضوا ذلك فى مجموعهم فيما عدا الفئة التى آمنت به وتبعته وهى لا تزال فى نطاق اليهودية !!

وهكذا كان يسوع يعرف « بالناصرى » عند الذين آمنوا به أنه « المسيح » فكانوا يسمون « يسوع » على السواء « يسوع الناصرى » و « يسوع المسيح » جامعين بذلك بين اسمه الانتسابى لموطنه « الناصرى » ، واسمه الوظيفى « المسيح » ، وأصبح اسمه لدى هذه الفرقة « يسوع المسيح الناصرى » ، وهم قد ربطوا بذلك بين « الناصرى » و« المسيا المنتظر » فى شخص « يسوع » عند ظهوره وبدء خدمته !!

هكذا كان يُلقب « يسوع » عند اتباعه الأولون فالشعب ثم السلطات اليهودية والرومانية « بالناصرى » فلا غرابة اذن أن تسّمى أتباع يسوع فى البيئة الاسرائيلية « ناصريين » وهكذا تكونت من الجموع اليهودية التى قبلته فرقة انتسبت إليه وعرفت باسم « الناصريين » ، وكان هذا أمرا طبيعياً إذ قد رأى فيه من آمن به من اليهود والدخلاء أيضاً أنه « المسيا » الذى فيه إتمام رجاء اسرائيل ...

وبذلك نشأت « الكنيسة » فى بادىء الأمر فى الدوائر اليهودية بل وكانت تمتد وتنتشر مما دفع إلى تكوين كنائس أخرى فى اليهودية والجليل والسامرة كانت كلها تتبع « كنيسة أورشليم » الأم ، وكانت لا تزال فى نطاق اليهودية تحت اسم « الناصريين » إلى أن حدث التحول العظيم بعد « مجمع أورشليم » كما سنرى فيما بعد !!

* * * *

الفصل الرابع

الناصريون الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية

« وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أن (يسوع) هذا هو المسيح » (أع ٩ :٢٢)

« وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة ومقدام شيعة الناصريين » (أع ٢٤ :٥)

* * * *

الانتساب الأول ليسوع الناصرى :

انها لسُنّة شرقية مألوفة لتسمية معلم أو زعيم باسم « بلدته » ، فلما ظهر يسوع لقّبه أتباعه الأولون ثم السلطات اليهودية والرومانية : « بيسوع الناصرى » نسبة إلى بلدته التى نشأ فيها وهى « الناصرة »

وهكذا كان يسوع يُعرف بالناصرى – والإشارة إلى ذلك كثيرة الورود فى الأناجيل وخاصة « إنجيل متى » – فلا غرابة إذن أن يتسمى أتباعه فى البيئة الاسرائيلية « ناصريين » ، ولم يتحرج اليهود المتنصرون من هذا الاسم – الذى تحرف فيما بعد إلى اسم « نصارى » – لأنه من عوائد بيئتهم ولأن ليس فيه استثارة لبغض اليهود ليسوع ولهم ... لأن اليهود الذين لم يؤمنوا بيسوع أنه المسيح فضلوا فى أوساطهم لقب « يسوع الناصرى » واسم « الناصريين » لأتباعه لأنه لا يدل على اعتراف بعقيدة ما ، وفضلوا أن يضعوا الناصرى تحت الامتحان **منتظرين منه أن يثبت لهم بأنه « المسيا – الملك » ، وخاصة وأنه بجانب المعجزات التى أجراها ، نادى بمبادىء الملكوت وقوانينه وأخبرهم أن الملكوت لا يأتى بمراقبة ولكنه بينهم باعتباره الملك فى وسطهم** ... ظهر فى وسطهم كالملك وناداهم بالتوبة لأن ملكوت الله قد جاء إذ اكتمل الزمان لظهوره وبدأ يفتح أبوابه لهم ويستقبلهم ، وكان المعمدان قد أعلن اقتراب الملكوت من قبل ، أما اليهود معاصروه كأمة بوجه عام فقد أرادوا منه أن يثبت لهم أنه المسيا – **لم يكتفوا بالمعجزات كدليل لكنهم طلبوا آية من السماء تدفعهم لأن يحملوه على الاكتاف وينادوا**

به ملكا عليهم ... أما الجموع التى قبلته فقد تكونت منها فرقة انتسبت إليه وعُرفت باسم « الناصريين » إذ قد رأت فيه أنه « المسيا » !!

وهكذا نشأت « الكنيسة » فى بادىء الأمر فى الدوائر اليهودية ، بل وكانت تمتد وتنتشر مما دفع إلى تكوين كنائس أخرى فى اليهودية والجليل والسامرة كانت كلها تتبع « كنيسة أورشليم » الأم !!

انقلاب الأمة اليهودية على الناصرى :

كان للمسيا صورتان – فى التوراة – احداهما كالملك المنتصر والأخرى كالعبد الوضيع المتألم ، كان ذلك عقدة محيرة بالنسبة لليهود جعلتهم يترددون فى قبول الصورة الثانية عنه ، وقد سبب لهم ذلك عثرة فى يسوع المسيح جعلتهم يرفضونه كالمسيا ، لأنهم فضلوا أن يكون لهم كالمسيا – الملك » **لذلك فانهم لم يستطيعوا قبوله لأنهم لم يجدوه كما انتظروا فأنكروا أن يسوع هو المسيح ، الأمر الذى دعا الرسول يوحنا إلى القول الوارد فى رسالته الأولى ٢ :٢٢ ونصه : « من هو الكذاب إلا الذى يُنكر أن يسوع هو المسيح . هذا هو ضد المسيح . »**

كانوا ينتظرون منه أن يسيطر على الموقف بتحديه وهزيمته للرومان ، وأن يقوم بهذا الحل السياسى بخلع نير الرومان عنهم وجعلهم دولة مستقله ذات سيادة ترتقى وتتسامى على جميع الدول – فان لم يفعل ذلك فلا يكون هو المسيح ، أما هو فأراد أن يبين لهم أن ملكوته يجب أن يقوم أولاً على الاصلاح الروحى والادبى ، ولذلك فقد بدأ فى تقديم رسالته للبشر على هذا النحو لذلك الشعب العنيد بتعليمهم أرقى ما فى الوجود من دروس الآداب والاخلاق ! أما هم فقد أخفقوا فى إدراك أن مثل هذا الاصلاح العظيم هو الأساس الحقيقى للملكوت إذ كان قد أبان لهم بأن ملكوته يجب أن يكون أولاً روحياً لاحرفياً !!

وكانت النتيجة أن اليهودية انقلبت عليه بعد أن بدأت تؤمن بأنه هو « المسيا » ، فئة قليلة فقط قبلت ذلك ، أما الأمة بأسرها فقد تحول اعتبارها له إلى اتهام وجهوه إليه بأنه يناوىء قيصر ، بل وقامت بالافتراء عليه ووصمته « بالمضل » أى أنه يدعى باطلاً بأنه « المسيا » وهو

ليس كذلك ، فقاموا وتخلصوا منه بالصلب ، لكنه سرعان ما قام ، وكانت الكرازه بقيامته صاعقة على معاصريه المنكرين إذ أكدّت على الملأ بأنه هو بعينه « المسيا » وبهذا تم تكذيب افترائهم ضده : وهكذا تثبت الاعتراف بأن يسوع هو المسيا بعينه ، وملأت هذه الشهادة الدنيا بأسرها !!

ظهور الناصريين كالأمة الوسط :

على هذا الأساس – أى قيامة يسوع الناصرى من بين الأموات – أخذت الشيعة التى كانت تتبعه من اليهود مكانها على التوالى وكانت تزداد حتى صارت عدة ربوات ، ومع تميزها بايمانها بأن يسوع هو المسيح إلا أنها بحكم وضعها الطبيعى كانت هى « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية ، فكانت تقيم التوراة والإنجيل معاً ، ولم تفارق الهيكل فى البداية بل كانت تحفظ الأعياد اليهودية وطقوسها ، **مما كان يدل على احتفاظهم بعلاقتهم باليهودية** حتى أنهم كانوا يعتبرون مجرد فرقة يهودية تميزت بكونها الطائفة من بنى اسرائيل التى آمنت بالمسيح !!

ولكنهم مع ذلك كانوا نواة المسيحية ، وخاصة بعد انسلاخهم من أمتهم اليهودية إذ كانت قد رفضت الناصرى الذى كانوا قد آمنوا به ، وإزاء ذلك قام اليهود باضطهاد هذه الفرقة لأنها تمسكت بالناصرى واعتبرته المسيا مع مخالفة الدعوة التى راحوا نشرها لما كان مألوفا عند اليهود ، **ولمناداتها بأن المسيح المنتظر هو يسوع الناصرى بعينه** ، حتى أن اليهود أطلقوا عليهم « شيعة الناصريين » وجعلوا بولس مقدام هذه الشيعة ، وواضح ان بولس عندما بدأ كرازته فى دمشق محققاً أن هذا (أى يسوع الناصرى) هو المسيح ، قيل عنه أنه كان يحير اليهود الساكنين فيها ، وهكذا كان يفعل إلى أن رفض اليهود الرسالة ... فلزم الحال أن يتوجه بها إلى الأمم (أع ١٣ :٤٦)

* * * *

يتضح مما سلف ذكره أن كلمة « المسيا » قد وردت فى التوراة ولا يزال اليهود إلى اليوم ينتظرونه ، ويرونه ملكا عظيما سيأتى ليجعل لهم السلطان على الأرض ويجعلهم سادة العالم ،

وأما موقفهم من جهة « يسوع الناصرى » الذى أراد أن يوجههم وجهة روحية فانهم لم يعتبروه « المسيح » الموعود به وثاروا عليه وتآمروا على قتله :

ولكن لا يفوتنا هنا أن تلاميذه ، على لسان سمعان بطرس ، كانوا قد أقروا بأنه « مسيح الله» ورغم ذلك واختلافهم عن أمة اليهود بهذا الاقرار ، إلا أن المجموعات التى آمنت به قد دعيت « بالناصريين » – كما سبق القول – ووقع عليهم الاضطهاد لهذا السبب عينه ، أى تمسكهم بيسوع الناصرى كالمسيا الموعود به خلافا لموقف معاصريهم الذين اتخذوا موقف العداء من يسوع ، وكان اهتمامهم الأكبر ليس بموته فحسب بل بابادة الفرقة التى تبعته وآمنت به – وكانوا يظنون فى البداية أن موت القائد سينهى هذه الفرقة المنتسبة له ولكن ذلك لم يتم !

ومن ثم كان لابد بالضرورة أن تنفصل هذه الشيعة عن بقية الأمة اليهودية وتتميز عنها ، فكان خروجها من اليهودية أمراً حتمياً إذ كان بقاؤها فى نطاقها أمراً مستحيلا ، وأصبحت بذلك الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية !!

* * * *

فترة الانتقال على مدى أربعين عاما

« اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة يوم مسّه في البرية . حيث جربني آباؤكم . اختبروني .أبصروا أيضاً فعلي أربعين سنة ... »
(مز ٩٥ :٧-١٠)

« لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الاسخاط يوم التجربة في القفر حيث جربني آباؤكم . اختبروني وابصروا أعمالي أربعين سنة » (عب ٣ :٧- ٩)

* * * *

جدول زمني معين من الله :

لاشك أن عند الله جدولاً زمنياً معيناً لسائر الاحداث ، وهو فقط وليس سواه يعرف كيف سيتم ، لأن له طريقته في إتمامه ... وهذا يمنعنا من التدخل في نظامه وترتيبه لسير الأمور حيث أن ذلك داخل في العلم الإلهي ، أي معروف من قبل دون تعيينات قدرية أو فرضية ...

ورغم ذلك فإننا كثيرا ما نتجاهل – مع الأسف – هذه الحقيقة فيفوتنا تقييم السرد التاريخي لما يحدث ، فلا نتفهم أوضاعه ومراميه !! فمثلاً عندما قال الرب لليهود : « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » ، لم ينفذ هذا الأمر إلا بعد أربعين سنة وذلك في عام ٧٠م . وكانت الكنيسة قد بدأت أثناء ذلك – **ولكن الله لا يمكن أن يعرف بالكنيسة واسرائيل معاً على الأرض كشعبين له في وقت واحد لأنهما من نوعين مختلفين ، الكنيسة سماوية واسرائيل أرضية !!**

ومع أنه قد بدا واضحا أن الأمة اليهودية قد رفضت مسيحها إلا أن حكمة الله قد اقتضت أن تمنحها فترة أخرى مداها أربعون سنة كامتحان جديد لها من وقت الصلب إلى وقت خراب أورشليم والهيكل .. وهي الفترة التي قصدها الوحي بقوله لهم في رسالة العبرانيين « اليوم أن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » وذلك نقلاً عما تنبأ به داود في (مزمور ٩٥) ، ويلاحظ أن هذه المدة هي نفسها التي امتحن فيها الله جيل البرية قديماً – ذلك الجيل الذي خرج من مصر ليدخل راحة كنعان – **وكانت الراحة أمام جيل الناصريين في فترة الإنتقال هي راحة**

الإيمان ، أى أن يدخلوا فى راحة الثقة بأن يسوع الناصرى هو المسيا بعينه ، لكنهم مع أمتهم تقسوا وانتهى يومهم هذا ...

كما كانت الحال حينئذ هكذا ستكون أيضاً فى ختام عصرنا هذا – **أى أنه بحسب الجدول المقرر من الله نجد أنفسنا الآن فى فترة انتقال أخرى فى نهاية عصر الكنيسة** – أى أربعين سنة – وهى تقريباً ما يناسب المدة المتعارف عليها للجيل والمقصودة بما جاء فى انجيل متى ٢٤ :٣٤ ونصه « الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل (أى جيل المجىء) حتى يكون هذا كله » !!

عرض الملكوت بعد القيامة والصعود :

لقد بدا واضحاً فى كلمات الرسول بطرس فى عظته الثانية المدونه فى سفر الاعمال – عقب شفاء الاعرج – بأن الله يعطى اسرائيل هذه الفرصة الثانية كما يظهر من قوله : « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب . ويُرسِل يسوع المسيح المبشر لكم به من قبل الذى ينبغى أن تقبله السماء إلى أزمنة رد كل شىء (أع ٣ :١٩–٢١) ، **كان معنى ذلك تقديم فرصة أخرى لعودة يسوع المسيح من بعد قيامته وصعوده للملكوت** – ذلك الملكوت الذى كان المسيح نفسه قد بدأ رسالته باعلان ظهوره ، ولكن بسبب رفضه وصلبه توقف هذا العرض – ولما اتهموه بهذه التهمة السياسية بأنه يجعل نفسه ملكا ينافس قيصر ، « أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم ... **ولكن الآن ليست مملكتى من هنا ، ومن أسف أن أكثرية هائلة فى نطاق المسيحية نفسها قد أسقطت « الآن » المذكورة هنا لكى تنفى عن المسيح « الملكوت الحرفى » نهائياً** ، وذلك دون تبصر وتدقيق ! **ومن ثم لم يكن هناك غرابة فى اعطاء الله لليهود فرصة جديدة بعد قيامة المسيح وصعوده – استجابة لطلبته بأن يغفر لهم خطية صلبه – ليقروا فقط أن يسوع الناصرى الآن هو بعينه « المسيا » حتى يُرسَل إليهم ويقيم الملكوت** ، لكن ذلك لم يتم لأنه كان يشترط توبة الأمة كلها واقرارها بأن يسوع الناصرى هو المسيح الملك الإلهى ، أما تلك الأمة فقد تقست ورفضت الفرصة المقدمة لها ، فكان لابد من تأجيل إقامة هذا الملكوت والكرازة بانجيله « انجيل الملكوت » الذى دعى « بانجيل الختان » إذ كان يخص اليهود أولاً ، فتوقف امتياز اليهود وظهر إنجيل

الغرلة (الامم) إنجيل النعمة الذى به انتهت الفوارق والفواصل ، بل ان فيه استعلن سر الكنيسة « من جميع من آمنوا بالمسيح سواء من اليهود أو الأمم » على أساس أنه جاء من السماء ليخلص البشر وقام من الأموات بعد أن أكمل عمل الفداء وأسس بذلك الملكوت الروحى الذى نحن فيه الآن !! أما إنجيل الملكوت فسيعاد الكرازة به فى وقت النهاية قبيل استعلانه بالمجيء الثانى !! وحينئذ تجتمع الصورتان الخاصتان بالملكوت وهما « الملكوت الروحى » و « الملكوت الحرفى » !!

فشل اليهودية والمسيحية فى قبول الملكوت فى معناه المطلق :

ومن أسف أن هذا الذى حدث لليهودية فى زمان المجيء الأول للمسيح إذ ظهر فشلها تجاه « المعنى المطلق لملكوت الله » الشامل للجانبين الروحى والمادى ، فتمسكت بالجانب المادى منه وأهملت الجانب الروحى بل أنكرته – وكان ذلك هو السبب الجوهرى لديها لرفض الاعتراف بأن يسوع المسيح فى ذلك الوقت هو « المسيا المنتظر » لسبب إعلانه ضرورة البدء بالملكوت الروحى ...

كذلك المسيحية الآن بوجه عام فقد تمسكت « بالملكوت الروحى » واعتبرته كل شيء ، وأنكرت « الملكوت الحرفى » وجعلته لا شيء ، بل انها تسخر من الذين يعتقدون به – وهى فى ذلك تتحدى النبوات التى قدمت أكمل صورة عنه قد عجز المنكرون عن تفسيرها على الوجه الصحيح رغم كل محاولاتهم فى روحنتها – وقد ذهبت فى الواقع ادراج الرياح – على ان الأمر قد وصل بهم إلى تفنيد حقيقة « المجيء الثانى » للمسيح ، وإنكار انتظارها وما يرتبط بها من حوادث وأوضاع يقف عليها من اكتحلت عيونهم بنور الوحى ، فضلا عن ظهور العلامات التى وردت فى نبوات الكتاب الدالة على قرب هذا المجيء ، الذى هو الرجاء المبارك للكنيسة واستقرار اسرائيل وكل الشعوب ممثلا فى شجرة التين وكل الاشجار (لو ٢١ :٢٩) والحل الوحيد لانقاذ البشرية من الفناء الذى سيواجهها فى هر مجدون ، وهو حالياً سارى المفعول إلى أن يصل إلى هذه المعركة الختامية لهذا الجيل ، مما سيعقبه تغيير حالة العالم الحالية إلى عالم أفضل هو « عالم الملكوت السعيد » « العصر الذهبى لمدة ألف سنة » يعقبها الملكوت الابدى » الذى هو افتتاح للابدية المباركة اللانهائية وذلك بصنع سماوات جديدة

وأرض جديدة وعاصمة جديدة لهذا الكون الجديد هى أورشليم السمائية الجديدة التى سيظهر فيها العرش الإلهى أبدياً !!

تحديد فترة الإنتقال بمدة أربعين سنة :

وصف الإنتساب ليسوع الناصرى – كما سلف البيان وهو الناصرية (وقد تسمى المنتمون إليها بالناصريين) بأنه « الطريق » وذلك تأسيساً على قول المسيح عن نفسه « أنا هو الطريق ... » وقد أطلق على هذه الجماعة فيما بعد لفظتى « شيعة » و « مذهب » ، الاولى معناها فرقة » والثانية « مدرسة فكرية معينة » .هذه الجماعة هى اليهودية المتنصرة (نسبة إلى الناصرية) وقد بدأت حسناً ولكنها انتهت رديئاً إذ شاركت اليهودية فى رفض فكرة : « من هو يسوع المسيح » كما تؤمن به المسيحية .

وقد دخلت هنا فى فترة الإنتقال أيضاً وانطبق عليها الكلمات الواردة فى مزمور ٩٥ والمقتبسة فى عبرانيين ٤,٣ ومن المعلوم أن هذه الكلمات قد جاءت كوصف لجيل البرية الخارج من مصر ، مع تكرار الانطباق على جيل الإنتقال من اليهودية إلى المسيحية – وهو الجيل الذى بعد أن آمن بيسوع الناصرى كالمسيا ارتد عنه إلى اليهودية – وكما احتمل الله آباءهم فى البرية أربعين سنة هكذا أعطاهم مدة مماثلة كفترة انتقال لعلهم يسمعون صوته ويتوقفون عن قساوة قلوبهم ، وكان ذلك لامتحانهم وحسم الموقف معهم نهائياً من جهة موقفهم تجاه يسوع الناصرى ، أيعترفون به كالمسيا أم يتحولون عن ذلك ! ؟

* * * *

أما موقف هؤلاء اليهود المتنصرين بعد ايمانهم بأن يسوع هو المسيح فقد انقلب رأساً على عقب إذ تحول الصليب لديهم إلى « عثرة » ، فان فكرة « مسيح مصلوب » لم تكن مقبولة لديهم لأنهم كانوا يتوقعون « المسيا » الذى يأتى كغالب منتصر – أما رسالة الصليب – الفداء بمسيح مصلوب فقد عثرت « الناصريين » الذين كانوا ينتظرون رد اعتبارهم لدى أمتهم بأن يظهر فجأة من السماء ملكاً عظيماً ، وانتظروا أن يرد لهم الملكوت وإذ لم يجدوه هكذا –

وخاصة بعد قيامته – فقد خاب أملهم لعدم توبة الأمة كلها وايمانها به الأمر الذى لم يتم حينئذ ، ولكنه سيتم فى وقت قريب فى حصار هرمجدون !

أما الله من جانبه فقد أعطاهم مدة الأربعين سنة كما أعطاها لآبائهم فى قادش برنيع لتكون فترة حسم الموقف وقد انتهى يومهم هذا بعد أن تقسوا وأصروا على رفض يسوع الناصرى وإنكاره كالمسيا ...

وكان داود قد أنبأ عن ذلك بتعيين هذا اليوم فى سفر المزامير وقام الروح القدس هنا بتنبيههم لخطورة قساوة قلوبهم إذا لم يسمعوا صوته ، ولكنهم حددوا الموقف وهو العودة إلى النظام القديم بالارتداد إلى ديانتهم اليهودية ، وساعدهم على ذلك ما وقع عليهم من اضطهاد .. !!

ومن عجب أن ما ورد برسالة العبرانيين والرسائل الجامعة الموجهة إلى الذين فى الشتات منهم قد حوره بعض من معلمى اليوم لتطبيقه بحذافيره على المسيحيين – ليس الاسميين منهم فقط بل والحقيقيين – رغم اختلاف واقع الحال :

فان خطية الارتداد المنسوبة للعبرانيين هنا إنما هى انكارهم للمسيح وتركهم له – وهى حالة يشبهها ترك الدين المسيحى فقط فى سائر الاحوال– والمقصود من القول :– ان سمعتم صوته هو « لانكم سمعتم صوته » !!

وقد فات هؤلاء المعلمون المحدثون أن لفظة « اليوم » الواردة فى رسالة العبرانيين ٥ مرات مرتبطة بعبارة « الأربعين سنة » الواردة فى النص والاقتباس ، وهذا ينفى اعتبارهم لها اليوم العادى أو كل يوم على حد قولهم الذى ذهبوا فيه إلى القول بأن الامس كان عند وجوده اليوم ، وكذلك الغد سيصير عند حضوره اليوم ... فى حين أن اليوم النبوى يشير إلى سنة زمنية ، – لكننا نراه هنا يساوى أربعين سنة – فترة انتقال واسعة أمهلها لهم الله ، ونفهم منها أن رقم ٤٠ يعنى الامتحان أو الاختبار ، لكنهم خابوا هنا لانهم بعد أن رأوا أعمال الله واختبروه شكوا من قبل فى حضوره أثناء وجودهم فى البرية بعد خروجهم من مصر ، وأنكروا مسيحه فيما بعد رغم قبولهم له وايمانهم به فى البداية !!

الفصل السادس

صراع الناصريين المزدوج مع اليهودية والمسيحية

« ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم فى كل مكان » (أعمال ٢٨ :٢٢)

* * * *

شيعة الناصريين فرقة يهودية :

كان يوحنا المعمدان آخر أنبياء العهد القديم ، وكان هو كالسابق للمسيح والمبشر بقدومه – أول من نادى بانجيل الملكوت وسرعان ما انتهى دوره بالاستشهاد ، وظهر المسيح متمما لرسالته وداعيا اليهود للتوبة « لأن الزمان قد كمل واقترب ملكوت الله (مر ١ :١٥، ١٤)

واختار المسيح اثنى عشر تلميذاً وسبعين رسولاً لحمل رسالته فى حدود أرض اليهودية ، معلناً أن ارساليته التى عليهم ان يتمموها إنما هى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة لا إلى غيرهم من الأمم :.. إذ كانت لهم الأولوية فى قبول بشارة ملكوت الله حتى دعيت هذه البشارة « إنجيل الختان » !

ويتضح من مدونات الوحى أن عدد الذين تتلمذوا على يد المسيح بخلاف من أشير إليهم بلغ ٥٠٠ شخص ، وقد أضيف إليه الثلاثة آلاف الذين آمنوا يوم الخمسين وألفان آخران ثم آخرون حتى صار عدد الذين آمنوا عدة ربوات !!

تكونت من هؤلاء جميعاً فرقة « الناصريين » ، وهو اسم قد تخصص لطائفة من بنى اسرائيل هى التى آمنت بالمسيح ، وكانت لا تزال تحفظ بعلاقتها باليهودية واعتبرت الأمة الوسط ما بين اليهودية والمسيحية – ولذلك فانها كانت تقيم التوراة والإنجيل معاً ،وقد أضافوا إلى ايمانهم بالمسيح إقامة الشريعة (أى حفظ الناموس) والختان والسبت ... وكانت تنتظر من يسوع الناصرى إقامة الملكوت فوراً من قبل صلبه ، ولم يزل موقفها هكذا من بعد قيامته ولما خاب أملها فى ذلك توقفت عند هذا الحد .. !!

مقاومة اليهودية لهذه الفرقة :

لقد لعبت هذه التسمية « الناصريين » دوراً تاريخيا فريداً من نوعه بالنسبة للفرقة التى آمنت بالمسيح من اليهود وانتسبت إليه ، وكان اليهود يعتبرون هذه الفرقة فى البداية مجرد فرقة يهودية لانعاش الدين اليهودى ، وكانوا هم يرون فى المسيحية وقت نشأتها أنها اليهودية بعينها مضافا إليها الايمان بيسوع المسيح ...

ولكن بمرور الزمن قام اليهود باضطهاد هذه الفرقة لسبب اصرارها منذ البداية على التمسك بأن يسوع الناصرى هو المسيح المنتظر ، بالاضافة لخروجهم فى الدعوة عن نطاق اليهودية التى تحتم ضرورة الدخول فيها وفقاً لنظام « الدخلاء » أى الذين يدخلون إليها ويندمجون فيها من الأمم الأخرى ، وكان من رد فعل موقفهم هذا أن ثارت عليهم اليهودية فتعرضوا للنبذ والطرد من المجامع بل وسلب أموالهم أيضاً ..

* * * *

كانت فلسطين موطن اليهودية ومهد المسيحية : وكان اليهود أمة فى حين كان المسيحيون طائفة تمثلت فى البداية فى هؤلاء الناصريين الذين بسبب تمركز ايمانهم فى يسوع الناصرى كالمسيا المنتظر ، اتخذت اليهودية موقف محاربتهم ، وصارت اليهودية بذلك خصيمة المسيحية إذ كانت أول عدو للكنيسة منذ نشأتها ، لأن الكنيسة قضت على آمال اليهود فى ظهور المسيا الموعود به ، ونادت بالتحرر من الناموس ، ودعت الناس من يهود ووثنيين على السواء إلى الايمان بمسيح مصلوب مقام بدلاً من « المسيا » الذى كانت تنتظره اليهودية !!

أما الكنيسة الناشئة » الممثلة فى هؤلاء « الناصريين » فقد اعترفت بالناصرى « كمسيا المنتظر » .. وكان هذا الاعتراف بمثابة الترنيمة التى سمعها أشعياء من أطراف الأرض للبار وشعارها : « أنت المسيا المنتظر » وأما ربطه بيسوع الناصرى فقد كان من دواعى التقديم لامتحان اليهود – **ولكنهم فشلوا فى الامتحان وحددوا موقفهم منه عندما أرسلوا سفارة « اسطفانوس ، ليبلغ المسيح بأنهم لا يريدونه أن يملك عليهم ، محاولين بذلك فك الارتباط بين الناصرى والمسيا !! وهكذا رفضوا الإقرار بحقيقة وصفه « بالناصرى والمسيا ، الأمر**

الذى تقبلته المسيحية وأصبح من أعظم وأرسخ عقائدها ، إذ أن الذين قبلوا الانتساب إليه « كالمسيح » دعى هؤلاء المنتسبون « مسيحيين » بدءا بكنيسة انطاكية الامية !!

* * * *

وواضح مما سلف بيانه أن الذين آمنوا بيسوع الناصرى – كالمسيا – من بنى اسرائيل كانوا لا يزالون يعتبرون أنفسهم يهوداً ويتمسكون بفرائض دينهم وطقوسهم فتشكلت منهم أمة هى « مذهب الوسط » أى أنها لا هى يهودية ولا مسيحية ، **وهذه الحالة المتوسطة دخلت بآثارها إلى الجزيرة العربية حيث تعرب اسم « الناصريين » إلى « النصارى » – وذلك لأن كلمة « ناصرة » اعتبرت مؤنث « ناصر » وجمعها أنصار ، وقد اعتبر تلاميذ المسيح وقد وصفوا بالحواريين « انصار الله » ، وتحرفت بعدئذ « الناصرية » إلى « النصرانية » – وقد حدث ذلك عندما هاجر « الناصريون » فقط إلى الحجاز – وقد سميت هكذا لأنها حجزتهم عن الروم والفرس إذ كانت فاصلاً بين الطرفين !!**

نعود إلى وضع « الناصريين » وموقف اليهودية منه عندما قبلوا اسمه الانتسابى « يسوع الناصرى » وربطوه باسمه الوظيفى « المسيح » : وكان ذلك اختبارا للنوايا .. ومع أنه قدم أعمالاً جديدة مذهلة لكنه لم يظهر – كما أراده اليهود بحسب تصورهم فى المسيا المنتظر – ومع أنهم تحيروا فى أمره وانقسم الرأى من جهته ، إلا أن مجلس السنهدريم قد أصدر قراراً بأن كل من يعترف بيسوع أنه المسيح يُخرج من المجمع ! وهكذا تحدد موقف اليهودية من الفئة التى آمنت على يديه وظهرت فى شكل مذهب جديد كان باق فى قلب اليهودية وقرر أن يكون اتباع يسوع المسيح ، وكان محور إيمان هذه الطائفة أن يسوع الناصرى هو « المسيا المنتظر » – الذى هو رجاء اسرائيل الذى ذكر بولس أنه لأجله كان يحاكم ، إذ اتهموه بانه مقدام شيعة الناصريين !!

كانت تلك الشيعة وعلى رأسها التلاميذ تنتظر من يسوع الناصرى أن يعلن نفسه بأنه « المسيا » ، فكانوا يتوقعون منه اعلان الملكوت وأن يقوم بتوزيع المناصب والمراكز عليهم حتى أنهم تشاحنوا من يكون الأعظم منهم ! ؟ وحتى بعد قيامته كانوا يتساءلون عن « المُلك » –

بالرغم من رفض الأمة له – ومن المعلوم ان اعلانه لما سيحدث له من صلب وقتل أحزنهم جداً إذ بدأوا يشعرون بإزائه بخيبة الأمل ظناً منهم أن صفته كالمسيا قد انتهت .. على أن الصورة عادت وتصححت عنه باعلان بطرس لهم في يوم الخمسين بأن رفضهم للمسيح حدث من جانبهم كجهالة أما ما أنبأ به الله فتممه ... !!

أما الرب يسوع نفسه فلم ينف نهائياً حقه في الملكوت الشامل كما يظن البعض وانما بحسب تصريحه أمام بيلاطس بالقول : بأن مملكتي الآن ليست من هنا لأنه عن طريق صلبه تصبح مملكته لحساب البشرية وستتجه إلى اتجاه آخر وهو « الملكوت الروحي » ، دون أن ينفي ذلك عنه أن ملكوته سيزداد اتساعاً إلى أن يشمل المسكونة كلها ، وانه قادم من السماء لاستلام ملكوته فعلاً على كل الأرض !!

هذه هي التاريخية الواقعية تجنباً للشوشرة على أذهاننا لعدم مراعاة الترتيب ، وتتبين منها أنه بالرغم من أن عدة ربوات آمنت بيسوع أنه المسيا المنتظر إلا أن الأمة اليهودية بقيت على موقفها من الرفض ، وانتهت فترة الإنتقال وضاع امتياز الاولوية التى كانت تقدم الانجيل لليهود أولاً إذ رفضت تلك الأمة أن تصحح موقفها من يسوع الناصرى لتقبله كالمسيح المنتظر ، فتم تنفيذ حكم الله فيها بخراب أورشليم وهدم الهيكل وتشتيت وسبى اليهود ، واسدال الستار على الديانة اليهودية لكى تحل محلها الديانة الجديدة التى أعلنت يسوع المسيح كالمسيا والمُخلّص للجميع على حد سواء !!

الموقف اليهودى من الناصريين وتغيير الاتجاه :

ماذا حدث حينئذ للناصريين الذين آمنوا به – وما هو وضعهم الآن ؟ انهم لم يحملوا اسم « مسيحيين » بعد ، لانهم فرقة يهودية حملت اسم « الناصريين » ، أى أتباع يسوع الناصرى ، فكان عليهم لذلك أن يتحملوا نتائج رفضه من أمتهم اليهودية ، وقد فتح عليهم ذلك باب المشاكل فأوقع عليهم اضطهادات عظيمة – وخاصة بعد موت الشهيد استفانوس بيد اليهودية الرافضة – فطردوا من بيوتهم وسلبت أموالهم كتحد على زعم ماذا سيفعل لهم الناصرى – **وكان ذلك امتحاناً رهيباً لهم إذ رأوا بأنهم لم يحصلوا على أى فائدة من وراء هذا الناصرى من جهة ملكوته ، وكان تحدى اليهودية لهم : مادمتم قد آمنتم بالناصرى وحملتم اسمه فتحملوا نتائج ذلك ...**

وكانت بداية هذه المجموعة هى التى اجتمعت يوم الخمسين وبدأت تحمل اسم « الكنيسة » وبدأ حلول الروح القدس عليها ممثلة فى المئة والعشرين المجتمعين فى العلية – وما فات الكثيرين فهمه أن هذه ليست الكنيسة (المسيحية) بل هى تعبير يعنى كلمة « الجماعة » وهو ما كانت توصف به اسرائيل قديما وقد استنبطوا هذه التسمية من الترجمة السبعينية للعهد القديم ، فهى إذاً وصف لوضع يهودى كان لايزال قائماً فى يوم الخمسين وما بعده ... وكانت هذه الكنيسة بهذا الوصف متمركزة فى أورشليم.، وهى التى ابتدأ الاضطهاد العنيف يقع عليها ، لكن الله الذى يتمم مقاصده عن طريق المقاومات نفسها ، جعل من هذا الاضطهاد عاملاً للشتات ، ولذلك جاء هذا الوصف عنهم : « فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة » (أع ٨ :٤) وقيل عنهم فيما بعد : « أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكيه وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط . ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقيرانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع .. (أع ١١ :٢٠ ،١٩) وهكذا وصلت البشارة إلى أنطاكية ، وانفتح الباب لعمل مركز ثان جديد فى أنطاكية بدأت فيه المسيحية !! وقد جاء عن ذلك النص فى ع ٢٦ « ودعى التلاميذ مسيحيين فى انطاكية أولاً » !!

وهكذا بدأت الرسالة تمتد من « أورشليم » المركز الأول إلى « أنطاكية » المركز الثانى لها ، والتى أدخلت الأمم فى نطاقها ولم تقتصر على اليهود ... فلما امتد العمل إلى أنطاكية تأسست بها كنيسة محلية بدأت تشعر بوجودها – متميزة عن « كنيسة أورشليم » ومع ذلك ظلت مرتبطة بها – مركزاً جديداً قد تكّون الآن من الأمم مبدئياً – مما جعل انطاكية مركز الرسالة ونشرها بين الأمميين ، وقدم الروح القدس الاعلان عمن اختارهم لهذه المهمة – مستقلا عن كنيسة أورشليم !!

وقد ذاع أمر المؤمنين فى أنطاكية ، فلقبوهم « مسيحيين » ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى فيها يظهر هذا اللقب ، ومن المحتمل أنه لم يلقب به أحد من قبل بسبب كراهية اليهود لاسم المسيح لارتباطه بيسوع الناصرى ! وهكذا اختص الأمم بهذا اللقب « مسيحيين » ، كما اختص الذين آمنوا من قبل من اليهود بلقب « ناصريين » !!

* * * *

موقف الناصريين المضاد للمسيحية عند ظهورها :

كان لابد حينئذ أن يحدث تمييز للمؤمنين من الأمم الذين بدأت بهم المسيحية فى « أنطاكية » ، والذين سبقوهم من المؤمنين اليهود الذين بدأ بهم عصر الكنيسة – فى الشكل اليهودى – فى أورشليم ... **وسرعان ما ظهر اختلاف هنا بين الفئتين ، لم يكن مسألة لغة فحسب ، وإنما هو مسألة عقيدة أيضاً ، فقد افترقت العقيدتان النصرانية والمسيحية رغم الاختلاط الظاهرى بين التسميتين ، هذا الخلط الذى لا تخفى أضراره وخطره الجسيم الذى من أجله دعت الضرورة إلى تقديم هذا البحث العميق لمن تعنيهم دراسة الموضوعات الحيوية** بجدية ونزاهة ودقة متناهية ، بهدف الوصول إلى اكتشاف الحقيقة مصداقا للقول بأن : « الحقيقة هى بنت البحث » !!

* * * *

ومن ثم فقد وجدنا أن فرقة « الناصريين » بعد التمسك بايمانها فى يسوع الناصرى « كالمسيا » قد وقعت تحت ضغط الاضطهاد وعدم ظهور الملكوت من قبل الصلب ومن بعد القيامة فى العودة لديانتها القديمة « اليهودية » وهيكلها وسائر طقوسها ونظامها ... ، وتشهد عنهم رسائل الانجيل بانهم ارتدوا عن « المسيح » وتركوه **ولذلك اعتبرت رسالة العبرانيين الموجهة إليهم رسالة تخص هؤلاء المرتدين أصلاً !! وكذلك ما جاء عنهم فى الرسائل الجامعة التى كتبها يعقوب وبطرس ويوحنا** .. وان ما جاء فى هذه الاسفار المقدسة ليكشف عما حدث – فى العصر الرسولى نفسه – من صراع عنيف بين كنائس اليهودية التى تمثلت فى « الناصريين » ، وكنائس الامم التى منذ نشأتها تسمى أتباعها بـ « المسيحيين » – ولكن رغم العراقيل التى وضعها المعلمون المتهودون « زعماء الناصريين » لمقاومة رسالة بولس – الذى ائتمنه الله على سر « الكنيسة » كنواة المسيحية الحقيقية – وبالتالى محاولتهم شل نشاط وحرية كنائس الأمم « المرتبطة بهذا السر ، إلا أن أولئك المقاومين الذين كانوا يطالبون الراجعين من الأمم بضرورة حفظ الناموس والختان والسبت – **لم ينجح مسعاهم وبالتالى لم يربحوا المعركة .. ولو قدّر لهم ذلك لبقيت « النصرانية » – مذهب اليهود المتنصرين – الذين**

اتصفوا من قبل مجتمعهم المعاصر باسم – الناصريين – سائدة إلى اليوم ، ولما ظهرت المسيحية كديانة جامعة كما هى الآن !!

أما هذه الفرقة التى دُعيت « بالنصرانية » ، وهى التى آمنت بالمسيح من بنى اسرائيل ، فقد آمنت به مع التحفظ كما سبق أن رأينا ، ولذلك أضحت هى بعينها « أمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية – ولهذا السبب كان صراع اليهودية معها بسبب تمسكها بيسوع الناصرى واعتبارها له « المسيا المنتظر » ، كما واجهت هى فيما بعد صراعا مع المسيحية لارتدادها عنه وايقاف هذا التمسك ، وبذلك وقعت هذه الأمه بين نارين ، نار بنى قومهم « اليهود » ، ونار بنى دينهم « المسيحيين » – وهكذا كان هذا المذهب يقاوم فى كل مكان !!

* * * *

الفصل السابع

مجمع أورشليم يحدد الموقف من الناصريين

« لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة . ان تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا »
(أع ١٥ :٢٨)

* * * *

حقيقة الأوضاع عند نشأة المسيحية :

إذا أردنا أن نقف على كيفية نشأة المسيحية ، يلزمنا أن نرجع إلى الوراء مع التوقيت الزمنى إلى مطلع التاريخ الميلادى الذى بدأت عنده الدعوة المسيحية – فنرجع بذلك إلى « التدبير اليهودى » السابق لها والذى ينتهى بظهور « يوحنا المعمدان » آخر أنبياء العهد القديم والمبشر بقدوم المسيح ، وإذ انتهى دوره ظهر « المسيح » على مسرح الحياة العامة ، وقام على الفور بإعلان « إنجيل الملكوت » (مت ٤ :١٧) ، واختار إثنى عشر تلميذاً وسبعين رسولا كلفهم بحمل رسالته هذه مبدئياً لبيت اسرائيل فى حدود أرض اليهودية .

كان هذا الإنجيل هو فاتحة الرسالة ، وقد امتد شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً تظاهره كنائس قوية مركزية مثل كنيسة أورشليم والاسكندرية ، (ثم القسطنطنية وروما فيما بعد) ، وكانت الكنيسة حينئذ تحمل اسم « كنيسة الله » ووحداتها من الكنائس المحلية تتكاثر وتزداد متمتعة بالاستقلال الذاتى – اى إدارة شئونها بنفسها .. وبرز من بينها بالطبع « كنيسة أورشليم » ، فكانت تتولى القيادة فى نطاق هذه الدعوة المتطورة ،

إلا أن « كنيسة انطاكية » سرعان ما أخذت مكان الصدارة إذ أن الله قد اختارها لتكون مركزاً جديداً متحرراً للدعوة ، لأنها نشأت كرد فعل للإضطهاد الذى وقع على الذين آثروا التمسك بالدعوة واستمرار التخلى عن اليهودية ، فان فريقاً من الذين تشتتوا بسبب ذلك الإضطهاد الذى وقع على « الكنيسة » بعد استشهاد استفانوس رفض أن يحصر الدعوة فى نطاق اليهود ، فاتجهوا إلى تقديمها لليونانيين ، وتكونت بذلك « كنيسة انطاكية » ، وكانت

فى الواقع أول كنيسة أممية ظهر فيها اسم « المسيحية » بعد أن خرجت الدعوة من الحدود اليهودية الضيقة وبدأت انطلاقها إلى كل مكان !!

* * * *

وبدأ الصراع بين « القديم » المتمثل فى النطاق اليهودى ، و« الجديد » المتمثل فى شكل المسيحية التى خرجت من القديم لتأخذ وضع « الإعلان الشامل المتكامل » الذى لا يقبل التوقف عند حد جزء معين من الإعلان هو الذى يتصل بالماضى ! وكان ذلك هو سر الصراع المبدئى بين المسيحية كديانة منطلقة منفتحة واليهودية السابقة لها كديانة ضيقة متزمتة !! وإذا لم نفهم ذلك بوضوح فاننا لا نستطيع أن نفهم سفر الأعمال والرسائل بوضوح ، ولا مشتملات فترة الإنتقال بين الديانتين اليهودية والمسيحية !!

الخطوات الأولى التمهيدية للتحرر من اليهودية :

كانت الدعوة المسيحية قد انتشرت بين الأممين ، وتكاثر عدد المسيحيين منهم حتى فاق عدد أهل الكتاب من اليهود المتنصرين – أى الناصريين – الذين يتكون منهم الفريق اليهودى من الكنيسة ، ولقد كان لهم موقف معين تجاه تقدم الكنيسة نحو الحق الكامل ، وكان ذلك الموقف عائقاً لهذا التقدم – وكان بطرس قد بدأ يفتح للأممين باب القبول على مصراعيه بالتوجه لبيت كرنيليوس الأممى – وكان اليهود يعتقدون أنهم كشعب مقدس لا يجوز لهم أن يأكلوا مع الامم ، ولكن الله أعلن لبطرس أنه لا ينبغى أن يعتبر المسيحيين من الامم كنجسين ، وكان ذلك بأمر ربانى رافق رؤيا معجزية ، وثبته الله بحلول الروح القدس على المهتدين من الاممين كما حل على الرسل أنفسهم يوم الخمسين ! ولم تكن هذه حالة شاذة تبررها العلامة فقط (الألسنه) ، بل كانت نهائية استلزم موضوعها بحثه فى مجمع خطير تقرر عقده فى أورشليم » لاصدار قرار فى المشكلة – بسلطان يكون مقبولاً من الذين اعتبروا حالة كرنيليوس نهائية ولانهاء النزاع الدائر بشأنها .. وكان البرهان المعطى منهياً للمشكلة المعروضة ، ولذلك فقد أعطى الله للقادة المجتمعين جرأة لاتخاذ موقف محدد – وكان قد مضى على إعلان مشيئة الله فى حالة كرنيليوس عدة سنوات !!

وبالعودة إلى ما سبق أن أشرنا إليه من أن نشأة المسيحية كانت بطبيعة الحال بخروج الذين قبلوا رسالتها من قلب اليهودية وهم فئة اليهود الذين آمنوا بالمسيح وكانوا يعتبرون فى البداية مجرد فرقة يهودية ... وقد أضيف إليها فريق من اليهود اليونانيين وانضموا إليها ، ولكن سرعان ما ظهرت روح التحزب فى وقت مبكر فى العبرانيين ضد اليونانيين المتهودين واستمرت المقاومة حتى ظهرت فى الاعتراض على قبول كرنيليوس الامى وبيته ، وظهرت بذور الفتنة فى انطاكية حين رآءى بطرس الذين جاءوا من الكنيسة اليهودية فى أورشليم (من عند يعقوب أسقفها) فبعد ان كان يأكل مع الامميين بدأ يؤخر ويفرز نفسه بالانسحاب منهم ، وخاف أن يقف بجانب المبدأ الذى مارسه بالمتابعة الدقيقة وحصل على موافقة إلهية عليه ، حتى أن برنابا شريك بولس فى رسوليته للأمم سلّم بضعف فانقاد إلى رياءهم (غل ٢ :١٣) مما دعا بولس إلى توبيخ بطرس لريائه وتناقضه !!

على أن ضعف برنابا وبطرس يبدو أنه كان مؤقتاً لانه عند عرض المشكلة على مجمع أورشليم دافع بطرس عن قضية الحرية ، كما كتب عما يسميه « الحق الحاضر » ووجب العلم به والثبات فيه وأصبح بذلك من رواد التقدم فى دائرة الحق الإلهى المعلن !!

* * * *

مجمع أورشليم الحد الفاصل بين اليهودية والمسيحية :

وهكذا صار اسم تلاميذ المسيح من بنى اسرائيل « نصارى » ، بينما صار اسمهم من الامميين « مسيحيين » – كان الأول أمة مستقلة داخل الأمة اليهودية تتميز بايمانها بيسوع أنه « المسيح » ... وحتى المتحررون منهم مثل بولس نراهم يحافظون على عوائدهم كالنذر التوراتى (أع ٢١ :٢٤) وكانوا يعيدون عيد الفصح (الفطير) (أع ٢ :٦) والعنصرة (الخمسين) (أع ٢٠ :١٦)

أما دخول الأمم إلى الايمان فقد كان على نسق ما عمله بطرس مع كرنيليوس ، أى أنهم كانوا يهتدون دون أن يتهودوا – فظهر بين أتباع المسيح سلوك متعارض : النصارى اليهود

ظلوا يقيمون شريعة موسى مع الايمان بالمسيح ، والمسيحيون من الأمم يعتنقون المسيحية من دون التهود ...

وسرعان ما دبّ بينهما الخلاف وظهر هذا السؤال الضخم الذى هزّ المسيحية فى مطلع دعوتها وهو : « **ما هو موقف الدعوة المسيحية من الشريعة الموسوية** ؟ وكانت أبرز مشكلة واجهت الديانة الناشئة هى كيفية التوفيق بين أهل الكتاب (النصارى) والأمميين الذين آمنوا بالمسيح ، وهل كان على المهتدى إلى المسيح من الأمم أن يتهود مع ايمانه بالمسيح حتى تصح مسيحيته ؟

وجاء الجواب مختلفا بين الفريقين :

النصارى الذين كان زعيمهم يعقوب (أخو الرب) أى من آل البيت فى الصدارة بالنسبة لليهود المسيحيين ولذلك كان مركزه عظيما فى مجمع أورشليم وهو الذى أعلن فكر الله وقرر القرار النهائى بعد المباحثات الكثيرة فى ذلك المجمع الرسولى العام ومن أعمال ٢١ نرى كيف أن بيت يعقوب هذا كان مركزاً للاجتماع ولفحص كثير من الشئون باعتباره أول أسقف على أورشليم رغم وجود الرسل أنفسهم.. وبدأ يظهر تشيعهم للشريعة على حساب المسيحية العامة عند هداية جماعة من الفريسيين (أع ١٥ :٥) **والمسيحيون الذين تزعمهم بولس – رسول الأمم** – الذى أصبح بحق « رسول الحرية » بعد أن تخلص من عقدة التزمت التى ورثها من قبل عن أجداده ، وحمل لواء « انجيل النعمة » الذى يقول عنه أنه قد قبله من الله « بإعلان » : كان **ذلك بعد أن تخلى عن « اليهودية » التى كان أكثر الجميع غيرة وإخلاصا لها ، ولكنه اكتشف أنها انحرفت عن مسارها برفضها الحق المعلن عن يسوع كالمسيح ، وكان هو يشاركها قبلاً فى ذلك مما دفعه إلى اضطهاد « كنيسة الله » قبل اهتدائه فى طريق دمشق !** لقد كان من قبل أكثر تعصباً من المتهودين أنفسهم فى ولائهم للناموس **حتى اكتشف أنه بمحاربته للانجيل كان يحارب الله ! ونحن نجده بعد ذلك يقدم الإنجيل فى المجامع محققاً أن يسوع هو المسيح ومقنعاً الناس بذلك !**

وقد أدّى عمله اللاحق إلى إنقلاب عظيم فى تاريخ الكنيسة : لأن غيرة الفريسيين المتنصرين ضده كادت تؤدى إلى الانقسام بين كنيستى أورشليم وانطاكية لولا أن تنازل الله بنعمته وفض المشكلة بالحسنى عن طريق عقد هذا المجمع الأول !!

وصدر قرار المجمع بتحرير المسيحية من اليهودية وشريعتها وختانها ، وكان اليهود فى مهاجرهم – ويسمونهم « اليهود الهلينيين » – أقرب إلى موقف بولس لتعودهم على الحياة مع الأمميين وعلى التسامح الدينى معهم ... وكان الرسل – القيمون على دين المسيح – يراقبون الصراع الناشب بين الفريقين وانتظروا المناسبة ليفتوا فى هذه المشكلة الضخمة ... وانفتحت معركة تحرير المسيحية من اليهودية ، وكان لكل فريق حججه فى تأييد نظريته :

لأن اليهود ، وإن تنصروا ، فقد ظلوا بسبب رواسب قوميتهم التوراتية ، يأنفون من معاشرة غير المختونين وإن كانوا على إيمان واحد معهم بالمسيح والإنجيل ، ولذلك فقد أصر هؤلاء النصارى من بنى اسرئيل وغلاتهم من الفريسيين المتنصرين على تشيعهم لشريعة موسى حتى النهاية ، هذا ما نراه فى حديث يعقوب زعيم النصرانية لبولس زعيم المسيحية ، لما حمل إلى فقراء أورشليم تبرعات المسيحيين الأمميين وفيه يحضه على ممارسة شعائر الموسوية فى أورشليم (أعمال ٢١) ، **ومع ذلك فقد انتصرت سُنة الرسل فى مجمع أورشليم ، على تشيع النصارى اليهود للشريعة الموسوية وتم بذلك الفصل بين اليهودية والمسيحية ...**

كان تعصب المؤمنين من اليهود قد بلغ اقصاه فى كنيسة أورشليم وملحقاتها متمسكين بطقوس الناموس ، بل حاولوا أن يضعوا المؤمنين من الأمم تحت ذلك النير عينه ... !

فى ذلك الوقت نزل بعض المؤمنين من اليهود (الناصريين) إلى أنطاكية وأخذوا يقنعون الأمم بأنهم أن لم يختنوا ويحفظوا ناموس موسى لا يمكن أن يخلصوا . فحدث بينهم وبين بولس وبرنابا مباحثة ليست بقليلة ، ولكن بما أن المسألة كانت أهم من أن يفصل فيها بين الرسول وخصومه مباشرة فى أنطاكية ، فقد اتفق الرأى على إرسال لجنة إلى أورشليم وطرح المسألة أمام الرسل والمشايخ هناك ، وكان بولس وبرنابا هما المنتخبين عن كنيسة أنطاكية طبعا لانهما كانا أول العاملين فى نشر المسيحية بين الأمم ... !

فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا هذا الأمر وللفصل فيه بصفة نهائية بعد المناقشة ، وكان ذلك فى أول مجمع فى تاريخ الكنيسة انعقد فى أورشليم سنة ٥٠ ميلادية ، وانتهى الأمر فيه إلى قرار تحرير الأمم الراجعين من نير الناموس وحفظ السبت والختان .. قد لا يرى البعض أهمية لهذا الموضوع كما حدث فى محاولات الادفنتست فى قلب المسيحية فيما بعد لتهويدها ،

ولكن القضية اعتبرت من الامور الجوهرية لتوقف سلامة المسيحية عليها وثبات مبدأ النعمة ، وكل هذا كان متعلقاً بتحرر المسيحية وخروجها عن حدود اليهودية ... !

وهكذا بانعقاد مجمع أورشليم - أول مجمع مسكونى - تم الاتفاق بين بولس وبرنابا وأعمدة كنيسة أورشليم على تمييز المسيحية كهيئة جديدة متحررة ومنطلقة ، ولذلك يعتبر هذا المجمع الحد الفاصل بين اليهودية والمسيحية ونقطة انطلاق الأخيرة ... !

* * * *

وقد سبق أن ذكرنا أن روح التحزب قد ظهرت مبكراً فى الكنيسة فى الاصحاح السادس من سفر الاعمال ، فان بذور مقاومة الانجيل الحر الذى كرز به استفانوس كانت تنمو حتى وصلت للمشاحنة التى قامت حول كرنيليوس ، ومع أن نموها قد توقف وقتياً بالبرهان المعصوم الذى احتواه اعلان بطرس وأسكت به أهل الختان ، إلا أن العمل المثير الذى تم فى أنطاكية ، والإدخال الحر لعدد من المتجددين الامميين بسبب الرحلة المرسلية الأولى لبولس وبرنابا إليها ، قد حركت روح الكبرياء المنعزلة لدى هؤلاء اليهود المتنصرين ، وقد كشف بولس عن الصراع الرهيب الذى كان عليه أن يحاربه ، حتى فيما بعد ، ضد كل قوى المقاومة الداخلية التى تجمعت تحت اسم « المتهودين » وهم « الناصريون » فى حالة عودتهم إلى « اليهودية » مما تبين منه بالضرورة أهمية طرح هذه الأزمة لاصدار القرار فيها بتسلطان من سلطة عليا لصالح مبدأ الحرية الذى كان مهما جدا لتقدم عمل الكنيسة ونموه ... ! ومن ثم فقد استلزم الموضوع بحثه فى مجمع خطير ، وذلك لأنه مزق الكنيسة من الداخل لوقت طويل إلى أن بتّ فى المشكلة مجمع أورشليم هذا بسلطان حاسم !!

وهذا يبين لنا أن قرار مجمع أورشليم الذى اتخذ تحت قيادة الروح القدس لم يكن سهلاً بدون الاقتناع التام به كما هو مبين فى ع ١٨ فى القول : « قد رأى الروح القدس ونحن » ، **ويتضح من تسجيله فى سفر الاعمال أنه اعتبر أهم حادثة فى تاريخ المسيحية** ...

ومع أن هذا المجمع لم يبلغ إلى درجة التحرير الكامل ، إلا أننا نستطيع أن نؤكد بأنه كان خطوة على الطريق نحو مرحلة النضج المسيحى الكامل ، كان خطوة بارزة بلا شك وقد احتوت

على بذور الحرية التامة النمو والتى تمكنت من الظهور فيما بعد فى نطاق « الحق الحاضر » الذى يتحدى كل تعصب بشرى لا يتفق مع هذا الحق المتكامل الآن ، فيتعارض معه أو يرفضه بما يفرضه من التزامات مطلقة على ضمائر وأذهان المؤمنين !!

* * * *

ومما لاشك فيه أن ظل تلك المشاحنات قد مضى منذ زمان وقد تثبت لنا حق « الانجيل الحر » ، الذى استشهد لأجله استفانوس أول كارز به ، وكما رأينا بين اليونانيين المتهودين والعبرانيين (أص ٦) ثم المشاحنة التى قامت حول كرنيليوس وقد تلاها الصراع الذى دار حول المؤمنين الأممين فى أنطاكية والذى أدّى إلى عرضه على « مجمع أورشليم » للفصل فيه – على أن روح الطقسية والانعزال المتميز هما فى اصل كل معارضة ، تلك الروح التى يجب أن تقاوم بجرأة من أولئك الذين يعترفون بالقيمة الجوهرية للحرية المقدسة فى الكنيسة كتقرير لابقاء باب الايمان مفتوحا لكل الجنس البشرى دون اشتراطات إضافية كتلك التى كانت فى اليهودية – وسرت منها إلى الناصريين – الذين قرروا معها التمسك بها على طول الخط إلى أن جاء قرار « مجمع أورشليم » فخذل موقفهم هذا تماماً ...

فقد تم فيه حسم المشكلة تماماً بأن أفتى بطرس زعيم الرسل بتحرير المسيحيين من غير اليهود من شريعة موسى – فسكت الجمهور كله ، وانتصرت وجهة نظر بولس وتحررت بذلك المسيحية من اليهودية !!

وفى الجلسة الثانية خطب يعقوب أسقف أورشليم مقدماً الحل العملى الوسط الذى يسهل التعايش السلمى بين الفريقين ...

وجدير بالذكر أن المجمع لم يتطرق إلى بحث قضية ضرورة الشريعة الموسوية للمتنصرين من اليهود أو عدمها – فظل النصارى اليهود يقيمون التوراة والإنجيل معاً ، وتحرر المسيحيون من الأممين من التوراة وأحكام الناموس واكتفوا بالايمان بالمسيح وإقامة الإنجيل !

ولا شك أن هذا يجعل قرارات مجمع أورشليم هامة بالنسبة لنا أكثر مما كانت عند صدورها، كما أنه يستوجب منا أن نكون شاكرين لله على إعلانه « إنجيل النعمة » لبولس وائتمانه عليه .

الفصل الثامن

تاريخ شيعة الناصريين وما انتهى إليه أمرهم

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (عب ٨ :١٣)

« منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منّا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا » (١ يو ٢ : ١٩)

* * * *

الناصريون فى محاولة الجمع بين اليهودية والمسيحية :

كان أتباع المسيح فى أورشليم وفلسطين كلهم من اليهود فى بدء الدعوة ، وكما كان المسيح مع دعوته بالانجيل يمارس الشريعة الموسوية **كان الرسل صحابته فى دعوتهم يمارسونها كذلك فيترددون على الهيكل ، ويحفظون الأعياد اليهودية ، ويحافظون على الختان والسبت والصوم : وكانت حالتهم هذه على حساب الإنجيل ، وقد أطلق عليهم لقب « ناصريين » وهو مطلع تشيعهم للنصرانية** التى أرادت أن تمزج اليهودية والمسيحية على أساس الايمان بأن يسوع الناصرى هو المسيح أى « المسيا المنتظر » !

وعادت الدعوة فتأصلت بين المتنصرين من الأمم فى أنطاكية ، وهناك أطلق عليهم مواطنوهم لقب « مسيحيين » ، وهو لقب لم يستعمله أتباع المسيح إلا فى القرن الثانى مع أنه قد زاع أولاً بين الامميين . وكان من آثار وجود هذين الاتجاهين أن ثارت بطبيعة الحال مشكلة العلاقة بين هؤلاء المسيحيين فى أنطاكية ، والناصريين الذين كانوا من متنصرى اليهود وتمسكوا بالناموس ، فان فرضت أحكام الناموس على هؤلاء الوافدين من الأمم تصبح « المسيحية » مجرد طائفة من طوائف اليهودية ، وأن تقرر اعفاؤهم من قيود الناموس تغدو المسيحية ديناً جامعاً على حساب اليهودية الضيقة ، الأمر الذى كان لابد من مواجهته والحسم فيه ، وقد تم ذلك فى مجمع أورشليم ، بوضع قواعد معينة أنقذت الكنيسة من الانقسام ! وهكذا اشتقت المسيحية من اليهودية ثم تميزت عنها واخذت طريقها اعتبارا من مجمع أورشليم كديانة عالمية مستقلة !

لكن الأزمة لم تنته بقرار هذا المجمع التاريخى الذى فصل فى الموضوع ، فالجماعة اليهودية المتنصرة لم تقبل قرارات هذا المجمع ، وإن كانت الكنائس الامية قد رحبت به واستمرت تلك فى معاداة هذه ...

ولذلك بقى كفاح بولس مريرا مع بنى جلدته من اليهود ومع المتزمتين من متنصرى اليهودية – لكى يجعل المسيحية ديناً جامعاً متحرراً من قيود الشريعة اليهودية ، ومع أنه أفلح فى ذلك حتى وصفه البعض بأنه واضع أركان العلوم اللاهوتية المسيحية فقد استطاع أن يرسم صورة للمسيح تختلف نوعا عن صورته فى البشائر ، إلا أن خصومه أذاقوه الأمّرين لكنه صمد وأخذ يكتب الرسائل ويبعث الرسل إلى كنائسه محذراً إياها من خطر هؤلاء المضللين ... واشهرها من هذا القبيل رسالة غلاطية التى تجسمت فيها مشكلتهم كما ظهر فيها الحل الذى يتفق مع وجهة نظر بولس فى المسيحية ، ولذلك اعتبرت بحق « رسالة الحرية » ... !

وهكذا حمل راية الحرية فانتصر قرار مجمع أورشليم به وتثبت ، وذلك بفضل جهاده ودعوته :

كان هذا هو الفصل الأول وقد وقعت أحداثه قبل أسر بولس فى فلسطين ثم فى روما ، وكان يدور حول الصراع على الشريعة الموسوية فقط إلى وقت انعقاد مجمع أورشليم عام ٥٠م ، **وجاء الفصل الثانى مدة أسر بولس حتى استشهاده من عام ٥٧ إلى ٦٧م ، وفى هذا الدور ظن الفريسيون أن الفرصة واتتهم للجهر بعقيدتهم فى المسيح بعد أن خلطوها بالغنوسية – وهى العلم الخاص لعقيدة تجمع بين الفلسفة اليونانية واليهودية ، لتفصيل ما جاء عن المسيح فى الإنجيل بتفسير ملتو ، كان بداية الضلالات التى ارتدّ بها الناصريون عن المسيحية تماماً ونهائياً ...**

* * * *

وكان العبء الأكبر على بولس فى الدفاع عن المسيحية وعقائدها ، لانه حتى بعد قرارات مجمع أورشليم ، نرى غلاة النصارى اليهود يتمردون على قرار مجمع الرسل ويستمرون فى محاولاتهم فرض الشريعة الموسوية على المسيحيين ، وملاحقة بولس فى كنائسه من أنطاكية إلى

فيلبى إلى كورنثوس إلى رومية ، والانتقاص من حقه فى الرسالة المسيحية وتشويه سمعته ، فكانوا بذلك هم « الاخوة الكذبة » الذين يعملون عمل اليهود لخنق المسيحية فى مهدها ، وبالأكثر باندساس هؤلاء المعلمين المتهودين فى كنيسة غلاطية بانجيل آخر ، فكتب للغلاطيين يحرضهم على مقاطعة النصارى اليهود الذين يحرّفون إنجيل المسيح !

ولذلك اتخذوا هذه الظاهرة ضد بولس وهى تنكرهم المطلق له ولتعاليمه ورسائله ،وكانوا يسمونه « المرتد » ، حتى أنهم اخترعوا فى سيرته قصة خيالية مزرية واعتبروه مستحق القتل شرعاً ،وهذا ما حاولوه معه مراراً ، واخيراً أمسكوه فى هيكل أورشليم وكادوا يفتكون به !

حادثان إذاً خلقا هذا النزاع : أولهما دعوة بولس للمسيح بين الامميين ، وقد بناها على استقلال المسيحية عن الموسوية ، والثانى هو دخول الفريسيين فى الدعوة الإنجيلية ومحاولتهم تهويدها ، وفرض الشريعة الموسوية على المهتدين من الامم ، ويرى فى هداية هؤلاء الفريسيين حركة مشبوهة (غل ٢ :٣-٥) وهم الذين بدأوا إثارة النزاع فى أنطاكية (أع١٥ :١-٢) وتم حسم الامر فى مجمع أورشليم بتحرير المسيحية وترك النصرانية على وضعها المحافظ للتوراة والإنجيل معاً ...

وانتهت حياة بولس ، ولكن الصراع لم يكف ، والتاريخ يشهد أن أغناطيوس أسقف أنطاكية كتب نحو نهاية القرن الأول الميلادى إلى الكنائس فى آسيا الصغرى يحذرها من تغلغل اليهودية إلى قلب المسيحية ...

والحق يقال أن الكنيسة المسيحية مدينة لبولس فى كل العصور لدفاعه المجيد عن مبدأ حرية الأمم الوثنية فى اعتناقها الديانة المسيحية ، حتى اعتبره البعض بأنه مؤسسها ... !

أما كتابات بولس فانها لا تزال المرجع الوحيد الذى حفظ للمسيحية الاصلية الحقة وجودها رغم الاتجاه اليهودى الذى غزاها عن طريق الناصريين وخلفائهم ، ممن تمسكوا بانجيل الخنان ، وكذلك الفرق الضالة التى تحاول - كالسبتين مثلا وشهود يهوه - العودة بالمسيحية إلى ذلك الإتجاه بعينه !

تاريخ النصرانية بعد العصر الرسولى وإلى أيام قسطنطين :

نشأت المسيحية وكانت اليهودية قد مهدت طريقها ، ولكن التيارات الفكرية والفلسفية شكلت صعوبات بالغة أمامها فى نفس الوقت ، كان أهمها محاولة ادماج المسيحية باليهودية عن طريق الفرقة التى آمنت بالمسيح من اليهود ودعيت « الناصريين » والتى اتخذت أورشليم مركزا لها ، إلى ان جاء الإضطهاد ... ورفضت الأمة مسيحها وظهر « سر الكنيسة » !! لقد كان قبول الأمم للإنجيل سبباً لإثارة اهتمام اليهودية باعتبارهم شعب الله ، فكيف يمكن أن يحرموا أنفسهم من الإمتيازات التى صارت للأمم فى المسيح ! ؟ وكان بولس يكرز لليهود أولاً ثم للأمم – ولكن سرعان ما تغيرت الأوضاع فاستخدم الله عدم ايمان الشعب اليهودى ليعطى فرصة لخلاص الأمم !! وكان صراع بولس مع بطرس فى أنطاكية حيث كان قد قدم إليها بعض المتهودين من أورشليم وادّعوا أنهم يمثلون الوضع الطبيعى للكنيسة من جهة الناموس باعتبار قدومهم من المركز الرئيسى مباشرة – ونجدهم لم يتحدوا تعليم بولس فقط ولكن أيضاً حقه فى التعليم ، فنادوا بأنه رسول كاذب بانجيل كاذب ، مما ألزمه أن يدافع عن رسوليته وعن الإنجيل الذى كان يكرز به – وهكذا ظهرت عقيدة « المتهودين » تناقض إنجيل بولس الذى ائتمنه الله عليه – ولاشك أن رسالته إلى غلاطية كانت رداً عليهم ، كما ساعدت على تحويل مجرى الأمور لصالح الحرية المسيحية ... ! وهو اذ يتحدث للغلاطيين عن انجيل آخر الذى ليس بالحقيقة آخر ، فهو يشير إلى التعاليم التى كان المتهودون يقدمونها عوضا عن إنجيل بولس (الخلاص بالايمان بالمسيح) لكن انجيلهم هذا لم يكن أخباراً طيبة ، بل كان تعليمهم هذا تحويلاً أو تحريفاً لإنجيل المسيح !! وكان موقفهم هذا ضد تحرير المسيحيين الامميين ، وقد انتهى بقرار مجمع أورشليم الذى تم به « فصل المسيحية عن اليهودية » وإيقاف نشاط المتهودين بهذه النتيجة الحاسمة ذات الأثر الفعال ، الذى نحيا فى ظله إلى اليوم !!

* * * *

وما أن اقترب القرن الأول الميلادى من نهايته حتى كان هناك عدد غفير من « الاسينيين » من دير قمران قد انضم للنصرانية، وزادوا فى تهويدها .. ومن غريب ما يرويه التاريخ فيما بعد دخولهم إلى المسيحية إسماً بعد أن رأوا إتمام نبوة المسيح عن خراب أورشليم والهيكل ،

أنهم جعلوا للنصارى اسم « الايبونيين » (أى الفقراء أو المساكين) ، وكانت أفكارهم عن المسيح منحطة وصلت إلى قولهم أن المسيح ولد من زرع بشر ثم اصطفاه الله عندما نزل عليه الروح القدس شبه حمامة ، فاتحد المسيح (العنصر الإلهى) يسوع (العنصر البشرى) بحسب زعمهم ، لكنه فارقه عند الصلب ... واستطردت النصرانية – وهى فى شكل الايبونيين إلى الضلال الكامل عندما أفرغ الكلام الايبونى الإنجيل من عقائده – الثلاث التى تنادى بها المسيحية وهى التثليث والتجسد والفداء !!

وهكذا إذ قد تجمدت النصرانية فى الشكل اليهودى أصبحت معدة لتجمع إليه أشكالاً أخرى من الضلال :

فقد ظهرت فى أواخر القرن الأول حركتان على طرفى نقيض – الكيرنثية الموغلة فى الغنوسية ، والتى تقول بجنة حسية عند رجوع المسيح ، إذ كانوا يرون فيه رسولا قوميا يخضع العالم لسيطرة اسرائيل فى مجيئه الثانى ، ليتمم مالم يفعله فى مجيئه الأول ، وتصوروا ملكوت المسيح الأرضى مدة ألف سنة عند مجيئه الثانى – جنة غنّاء فيها من كل فاكهة زوجان مع حور العين كاللؤلؤ والمرجان – هذه هى جنة الله فى الأرض ، وصف بديل لملكوت المسيح ، وكانوا يحيون رجعة المسيح هذه بولائمهم الحبية .. وكان كيرنثس هو زعيم الكافرين بتجسد كلمة الله – وقد رد عليه يوحنا الرسول بأن من ينكر ذلك فهو كذاب وضد المسيح ... !

وأما الفرقة الثانية فقد كانت الكسائية ، وهى الموغلة فى التهويد ، والتى امرت بالقبلة إلى أورشليم فى الصلاة ولذلك سميت باحدى القبلتين !

حينئذ كتب الرسول يوحنا – آخر الرسل ، وقد بقى على قيد الحياة إلى ختام القرن الأول – رسالته الاولى إلى المسيحيين بنعت فيها أولئك المتكلمين من النصارى « بالخوارج » (١يو٢ :١٩) وهو يستمر على هذا النهج محاولاً الرد على انكارات النصارى من بنى اسرائيل بعد أن أمسوا بالبدعة والردة خوارج ينكرون الشهادة المسيحية : ان المسيح هو ابن الله وقد أتى بالجسد وصلب به لخلاص العالم ، فهم يفسرون الإنجيل بالتوراة ، لا التوراة بالإنجيل – وهذه هى بدعة النصارى اليهود (الخوارج) كما أعلنها زعيمهم كيرنثس فى أيام يوحنا الرسول : « أن المسيح ، روح منه تعالى ، حلّ على يسوع يوم عماده وفارقه عند الصلب ،

فما قتل اليهود المسيح نفسه وما صلبوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه – إنما قتلوا يسوع الناصرى لا غير ، وصار هذا القول منسوباً إليهم « إن اللاهوت رُفع وإنما صُلب الناسوت » !!

* * * *

وكان سمعان أخو يعقوب سائراً على نفس النهج النصرانى إلى أن استشهد مصلوباً وهو ابن مائة وعشرين سنة !

ولما لم يشترك النصارى فى ثورة ابن كوكب فيما بعد ، عمل فيهم اليهود ذبحاً وتقتيلاً ، إلى أن محيت أورشليم عام ١٣٥ وتشتت النصارى وقامت كنيسة مسيحية من الأمميين فى أورشليم بدل كنيسة النصارى ... ومع أن النصارى بعد خراب أورشليم انعزلوا عن المسيحيين تماماً ورجعوا إلى أورشليم واليهودية وازدادوا تمسكاً بإقامة التوراة مع الإنجيل برغم تحذير رسالة العبرانيين لهم ، إلا أنه نحو عام ٨٠م حرم السنهدريم « النصارى » من مخالطة اليهود فى صلاتهم بتأثير رابى غمالائيل الثانى ، فصار « النصارى » – ومعهم المسيحيون بالطبع – بدعة كافرة فى نظر اليهود أدخلوها فى حرم اللعنة الذى يكررونه كل يوم على المشركين ، وكان ضمن ما جاء فيه : « لا يكن للمرتدين رجاء ! ولتستأصل دولة الظلم سريعا ، على أيامنا ، وليضمحل فى لحظة النصارى والمشركون ! »

* * * *

هذا الحرم اليهودى من جهة ، واستقلال النصارى عن المسيحيين فى إقامة أحكام التوراة مع الإنجيل من جهة أخرى ، جعلا النصرانية « كيانا وعقيدة » أمة وسطا بين اليهودية والمسيحية منذ أواخر القرن الأول ...

وقد ظن النصارى حينئذ أنهم هم الذين يتمثل فيهم رقم الشهود الأمناء وهو إل ١٤٤٠٠٠ – كما يتوهم شهود يهوه والسبتيون حالياً – ولكن أوريجانوس – فى القرن الثالث – يقدم شهادة قيمة على تضاؤل عددهم فهو يقول فى تفسير الآية ٧ :٤ من سفر الرؤيا : « إن عدد الـ ١٤٤٠٠٠ المختومين من كل سبط من بنى اسرائيل لا ينطبق على النصارى لأنهم لا يبلغون

هذا العدد ... إذ أن عددهم أخذ يتضاءل لانكماشهم على أنفسهم وسط بغض اليهود إليهم ، ونفور المسيحيين منهم ... !

المسيحية دين الدولة الرومانية وأثر ذلك على النصارى :

سيطرت المسيحية على الدولة الرومانية مع قسطنطين الكبير ، ومن المجمع المسكونى الأول عام ٣٢٥ إلى الرابع عام ٤٥١ ، وقع هذا المذهب الوسط – النصارى – بين نارين : نار بنى قومهم « اليهود » ، ونار بنى دينهم « المسيحيين » ،وكان عددهم يتضاءل بانكماشهم على أنفسهم – ولكن ماذا حلّ بهم بعدئذ – هل ذابوا فى المسيحية أو فى اليهودية أم فى غيرهما ! ؟

يقول بعضهم أن قسماً منهم عاد إلى اليهودية ،وقسم اتحد فى المسيحية ، على أن الكنيسة المسيحية نفسها كانت كلما تزدهر تبتعد عن مهدها بتحررها من النصرانية (المذهب الوسط) كتحررها من اليهودية نفسها ...

ولكن من الباحثين المدققين من يرى بأن النصارى من بنى اسرائيل لم يذوبوا فى اليهودية ولا فى المسيحية ، إنما هاجروا من دولة الروم إلى الحجاز – الحاجز بصحاريه من دولتى الروم والفرس – لأن أطراف الجزيرة العربية كانت قد دانت بالمسيحية – إذ كان ضمن اليهود الموجودين فى يوم الخمسين يهود عرب ممن آمنوا بالمسيح – **ومن هنا كان وجود النصارى فى الحجاز ، وقد استوطنوا مكة** ، لأن اليهود كانوا قد تغلغلوا إلى الطائف ويثرب ... وقد ظهر بين النصارى أساقفة كأسقف نجران ، وقساوسة منهم قس ابن ساعدة ، وورقة ابن نوفل قس مكة النصرانى !

* * * *

تلك « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية كانت تعبر نفسها أمة يسوع الناصرى وتتسمى « النصرانية » باسمه ، وقد نشرت دعوتها فى الجزيرة كلها فكانت بذلك الدافع الخلفى الذى مهد لظهور الإسلام !

ولقد ظل اختفاء « النصارى » من بنى اسرائيل من العالم المسيحى بدولة الروم لغزاً تاريخياً حيّر المؤرخين ، حتى كشفت عنه المصادر الإسلامية – ومن الأوصاف التى وردت عنهم والعقائد التى تمسكوا بها تتحقق أنهم ذابوا فى الإسلام الذى دعوا إليه – **وهذا هو لغز اختفائهم فى العالم الإسلامى بالذات لذوبانهم فيه فأصبحوا بذلك مصدر ولادة الإسلام !**

يدل على ذلك موقف « النصارى » من الأناجيل ، فقد اعتمدوا الإنجيل بحسب متى وحده لأنه كُتب لهم أولاً ونزل بلغتهم ودوّن بحرفهم العبرانى المقدس ولغتهم الأرامية .. ولكنهم أهملوا الأناجيل الثلاثة الأخرى لأنها موجهة لغيرهم وبلغة الامميين ، وأهملوا حتى الرسائل الجامعة الموجهة إليهم مع الرسالة إلى العبرانيين ... كانت هذه هى حقيقة الإنجيل عندهم وأضافوا إليها التمسك بالتوراة :

وقد حملت « النصرانية » هاتين الظاهرتين عند هجرتها إلى الحجاز فهى لم تعرف إلا « الإنجيل » على المفرد المطلق ، كما أنها كانت تتميز بالجمع بين موسى وعيسى على صعيد واحد ، وإقامة التوراة والإنجيل معاً !!

وقد صار المسيح فى نظرهم بشراً محض ،لكنه أسمى من الأنبياء جميعاً ، لأن فيه روحاً ملائكية : لذلك فانهم يقولون – « ان يسوع المسيح ليس مولودا من الله بل مخلوقا من الملائكة المقربين وعظيمهم » ... !

ومن الغريب أن سجود الملائكة لآدم ورد ضمن الكلام النصرانى وكذلك تحريم التبتل ... وفيما سردناه من تاريخ « النصرانية » رأينا ما انتهى إليه أمرها من عودتها إلى الظهور فيما بعد فى شكل دين عام هو الذى ظهر فى أعقاب المسيحية !!

الفصل التاسع

بطلان الربط بين النصرانية والمسيحية

« إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مُقلقين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس . الذين نحن (الرسل) لم نأمرهم »
(أع ١٥ :٢٤)

« الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا . الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل »
(غل ٢ :٥,٤)

* * * *

خلفية التمسك بنظام الناصريين :

كانت حجج النصارى اليهود المحافظين فى تأييد نظريتهم تستند إلى عدة عوامل فى فهم المسيحية فهما اسرائيلياً يهودياً وهى :-

-ان موقفهم يعتمد على وعد الله لابراهيم أن بنسله تتبارك أمم الأرض كلها ، والمسيح كان فى نظرهم يهودياً ، ومن ثم فانه على كل مسيحى منتسب للمسيح أن يتهود !

-وشريعة موسى فى عرفهم أزلية لا تنسخ ،فلا تصح مسيحية بدونها . ويؤيدون ذلك بأن المسيح عاش كيهودى ، والرسل مع ايمانهم بالمسيح والدعوة له كانوا يسلكون كيهود ويجب الاقتداء بهم !

-وكنيسة المسيح كلها فى أورشليم وعلى رأسها الرسل أنفسهم كانوا يقيمون أحكام التوراة مع أحكام الإنجيل ، وأورشليم هى أم الكنائس ، فما على سائر الكنائس إلا أن تقتدى بالكنيسة الأم !

-وبولس نفسه زعيم دعوة التحرر من الموسوية كان يمارس شريعة موسى عندما يكون مع اليهود (أع ٢١) فليست دعوته لهذا التحرير فى نظرهم سوى تملق للأمميين .. !

ـوكان الرسول متى فى أثناء ذلك يدون إنجيله فى البيئة الاسرائيلية ونقل فى خطاب المسيح التأسيسى قوله : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء . ما جئت لانقض بل لأكمل » (٥ :١٧) **وفهم النصارى اليهود أن هذا التكميل هو مجرد تعديل وليس بتبديل من عهد قديم إلى عهد جديد حسبما رآه فيه المسيحيون ، ولذلك اعتبر « الناصريون » أن الموسوية وشريعتها أساس لا تصح المسيحية بدونه !**

فماذا يزعم بعد هذا كله دعاة تحرير المسيحية مثل بولس ! ؟

حجج فريق المسيحيين الأحرار :

أما هؤلاء بزعامة بولس رسول الأمم فقد نادوا بنسخ الشريعة بالإنجيل وأن الخلاص المسيحى « قد صار بالايمان لا بأعمال الناموس » (غل ٢ :١٦، ١٥) وقد استطاع بولس فى رسالة غلاطية أن يثبت بأن « إنجيل التبرير بالايمان » كان فى قلب العهد القديم وذلك ليؤكده لليهود ويفند به موقف المتهودين ، باعتبار أن الاحتكام إلى المكتوب أمر له حجيته الحاسمه حينئذ ، وهو لايزال كذلك إلى الآن !

كان اليهودى يعتقد أن الختان وجنسيته يحفظانه من الوقوع تحت دينونة الله ،فاذا ببولس يؤكد أن كل الذين يذهبون إلى الناموس لينالوا به استحقاقاً ذاتياً للتبرير هم تحت لعنة لانهم يطلبون محالاً ، يؤكد ذلك أن الله قد أعلن تقديم نعمته الخالصة – بالمسيح – لغير المستحقين !!

وفسر المسيحيون تكميل الشريعة بالانجيل على أنه نسخ لها ، وقد تم هذا النسخ بدم المسيح على الصليب ، وأن المسيح لم يصدق إلا على الكلمات العشر ولكننا نراه ينسخ شريعة الطلاق (مت ١٩) والتحريم فى الاطعمة (مر ٧)

كانت الشريعة هى المؤدب (المربى) إلى المسيح ، فلما جاء لم تعد بعد حاجة إلى ذلك المربى (غل ٣ :٢٩، ٢٣) ، ولقد استنفدت الشريعة أغراضها وحلّ عهد النعمة محل عهد الناموس (يو ١ :١٧ مع عب ٨ :١٣) ، وأنه مع أن المسيح كان يسعى لخراف بيت اسرائيل الضالة إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يقدم رسالته فى « جليل الأمم » ، وقد أوصى تلاميذه بأن

يحملوا الرسالة للخليقة كلها – وذلك لأن المسيحية على هذا النسق قد شقت طريقها لتكون ديناً عالمياً لا يتقيد بشريعة قومية كشريعة موسى !!

* * * *

ومع أن اليهودية كانت مهد المسيحية حيث مولدها ونماؤها عند بزوغ فجرها ، إذ أنها قد وجدت باكورة أنصارها والمؤمنين بها من بين الشعب اليهودى ، كما قدمت اليهودية للمسيحية كتب العهد القديم ، وفى شتاتهم كانوا يكسبون أعداداً غفيرة من الدخلاء ، من الأمم – وكان هؤلاء بدورهم النواة الصالحة لنشر المسيحية فيما بعد ... مما حفظ لكنيسة أورشليم مقامها التاريخى كمنبع تفجرت منه المسيحية ، ولكنها بصفة خاصة بعد خراب أورشليم وتدمير الهيكل قلّ تأثيرها كعامل فى نشر الدعوة المسيحية وتطورها فى التاريخ اللاحق !!

تحديد الموقف بين المتهودين والمسيحيين :

لقد كان ما سلف ذكره خلافا ضخما بين الفريقين احتدم بسببه الجدال والصراع وكان يبدو فى استحالة التعايش السلمى بينهما ، مما استلزم عرض الأمر على مجمع أورشليم – وهو المجمع المسكونى الأول فى تاريخ المسيحية – ويبدو من خطاب يعقوب فى جلسته الثانية أنه قام بتقديم الحل العملى الوسط بتحرير المسيحية من اليهودية !

ولكن مما يجدد ذكره أن المجمع لم يتطرق إلى بحث قضية ضرورة إستبقاء فرض الشريعة الموسوية للمتنصرين من اليهود أو عدمها ، فظل النصارى اليهود يقيمون التوراة والإنجيل معاً ، وتحرر المسيحيون من الأمميين من التوراة واحكام الناموس ، واكتفوا بالايمان بالمسيح وإقامة الإنجيل ... !

وهكذا قد تم حسم المشكلة فى مجمع أورشليم بأن أفتى بطرس زعيم الرسل بتحرير المسيحيين من غير اليهود من شريعة موسى . وانتصرت وجهة نظر بولس ، وكانت هذه هى الجولة الأولى التى ربحها بولس !

وتحول الصراع إلى « كنيسة غلاطية » ، وكان المتهودون فيها يردون المسيحيين الأمميين إلى إنجيل غير إنجيل المسيح الذى دعاهم إليه بولس ، فكتب لهم من أفسس رسالته النارية ، وربح بولس الجولة الثانية فى تحرر المسيحية !

وبلغ غلاة النصارى اليهود إلى بلاد اليونان فقسموا كنيسة كورنثوس ، وفتنوا كنيسة فيلبى ، ووصلوا إلى روما عاصمة المسكونة ، لكن بولس ردهم فى هذه المواقع وانتصرت المسيحية المتحررة !

وأخذوا يدّعون أن المسيح هو ابن الله على المجاز ، لا على الحقيقة فهو مخلوق وليس رباً معبوداً ، فبلبلوا الكنائس فى آسيا ومكدونية ، ورد عليهم بولس مبيناً سر المسيح فى ذاته فى رسالة فيلبى ،وسر المسيح فى الكون فى رسالة كولوسى ، وسر المسيح فى الكنيسة فى رسالة أفسس – فانتصرت بذلك العقيدة المسيحية على النصرانية !

وبينما كان بولس يفعل ذلك كان يعقوب يكتب مدافعا عن عقائد النصرانية بالالتزام بالتوراة والإنجيل ، وكذلك يهوذا فكتب طالبا المحافظة على الايمان المُسلّم مرة للقديسين ... يضاف إليهما للتحذير من الردة رسالة بطرس الثانية والعبرانيين ورسالة يوحنا الأولى : وفى هذه كلها إشارات واضحة إلى ردة النصارى عن المسيحية وإنكارهم لعقائدها الجوهرية حتى أن الرسول يوحنا يصفهم « بالخوارج » فهم الذين يقصدهم بالقول : « منا خرجوا » !

تلك هى النصرانية فى مصادر الوحى الإنجيلى ، بدأت من بنى اسرائيل ، فى فلسطين – شيعة فى الشريعة والإمامة ، وتطورت حتى انتهى بهم الأمر إلى أن أصبحوا خوارج على الشهادة المسيحية منذ أواخر القرن الأول الميلادى

رأى الباحثين فى عملية الخلط بين النصرانية والمسيحية :

من هم « النصارى » الذين دعوا بالناصريين أى « أنصار الله والمسيح » ، وبعض الأحيان يسمونهم « نصرانيين » ؟ وما هى صلة « النصرانية » بالمسيحية ؟

وهل النصرانية هى المسيحية بعينها ؟

لقد ترجم المستشرقون كلمة « نصارى » إلى « مسيحيين » فى اللغات الأجنبية مع أننا عند البحث الدقيق نكتشف أن هذه ترجمة خاطئة وأن النصارى هم غير المسيحيين ، وهذا ما تحققناه من مصادر العهد الجديد ، وقد أثبتته المصادر التاريخية أيضا ... ولكن لسوء الحظ أن كلمة « ناصريين » زحفت إلى الغرب ، وفى أواسط أوربا ظهر هذا الاسم لفئات أعجبهم هذا الاسم لكن كان مذهباً عديم التأثير .. على أن هذا الاسم امتد إلى يومنا الحاضر وصار

معروفاً فى الغرب ومشهوراً من جديد باسم « الناصريين » NAZARENE (أتباع الناصرى) ، وقد تجاهل هؤلاء معنى الاسم القديم ، ولسنا ندرى ما الذى دعاهم للعودة إلى هذا الاسم ، الذى رأينا أنه كان إسماً يهودياً لا يمت للمسيحية بصلة ولا يحمل لونها بل هو من بدايته إلى نهايته يهودى صرف ! حتى رغم كونه ينتسب ليسوع الناصرى !

ولكن كما حدث فى الغرب مثل هذا الامتداد حدث فى الشرق بصورة أغرب : فمع أن فرقة الناصريين إعتبرت الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية وانهم هم الذين أقاموا أحكام التوراة والإنجيل ومزجوا اليهودية بالمسيحية إلا أن ذلك لم يتم – كما سبق أن رأينا – وأضحت النصرانية ليست هى بالمسيحية على الاطلاق ! ومن لا يفهم ذلك لا يستطيع أن يدرك الفرق بين « النصارى » و « المسيحيين » !

والواقع أن الإختصاص يؤكد أنه لا يقصد « بالنصرانية » سوى المسيحيين من بنى اسرائيل المعروفين أيضاً باسم « الفرقة الاسرائيلية » تجاه الفرق المسيحية الاخرى كالملكانية واليعقوبية والنسطورية !

أى أنهم ليسوا أهل الإنجيل على الاطلاق كما يوهم التعبير الدارج ، بل هم الطائفة التى آمنت بالمسيح من بنى اسرائيل ، لكنها افترقت منذ مجمع أورشليم وهاجرت إلى الحجاز ، وفى هجرتهم شاع بين العرب اطلاق اسم « نصارى » على أهل الإنجيل جميعاً ، لأن النصارى من بنى اسرائيل احتكروا حقيقة الإنجيل وحقيقة عقيدته ودعوته بهم دون سواهم : ولذلك فان تعبير « نصارى » قد ورد كناية عن « النصارى » من بنى اسرائيل ، وتارة أخرى عن أهل الإنجيل على الاطلاق ..

* * * *

ومن هنا ظهرت الشبهة الكبرى بين الأديان وهى الترادف بين النصارى والمسيحيين ، وبين النصرانية والمسيحية : فلم يعد تعبير النصرانية والنصارى مقصورا على قوم بالذات – أى الفئة التى آمنت بالمسيح من بنى اسرائيل مما لا يصح اطلاقه على سواهم – فهو لم يطلق أبداً على المسيحية والمسيحيين فى جميع ديارهم وفى كل تاريخهم ، ومع ذلك فقد كان لهذا

الخلط الغريب نتائجه التى يبدو منها واضحا شيوع استعمال كلمة « تنصير » وتخصيص مناسبة له تُعرف بـ « أحد التناصير » ، فيها تسرع جموع غفيرة بداخل العالم المسيحى فى هذه المناسبة من كل عام إلى جرن المعمودية لتغطيس أطفالهم فيه – وبحسب المفهوم العادى للكلمة يعنى ذلك جعل الاطفال الذين يُعمدون فى هذه المناسبة « نصارى » **وقد غطى بهذا الاستبدال – اسم « نصارى » على اسم « مسيحيين » ، الأمر الذى يبين مدى التجاوز فى هذا الإطلاق ، وأصبح ذلك فيما بعد من باب التغليب** ، مع ان اسم « مسيحيين » هو وحده الشائع فى ديار وأمصار المسيحية فى العالم منذ العصر الرسولى إلى الآن !! ورغم أن صبغ الطفل بصبغة « النصرانية » أمر لا يتساوى فى القيمة مع صبغة المسيحية التى ينالها من يعتمد فى يسوع المسيح !!

النصرانية مزيج محيّر من اليهودية والمسيحية :

ومع أن اليهودية هى أساس « الدين القيّم » ، إلا أن أبناءها اختلفوا فى أمر الإيمان بالمسيح ! فمنهم من كفر بيسوع المسيح ومنهم من آمن به مطلق الإيمان ، **لكن النصرانية من بنى إسرائيل آمنت بالمسيح مع التحفظ .**

لقد سلكت طريق الإلتزام بالتوراة والإنجيل : لا بالشريعة الموسوية من دون الإنجيل كاليهود ، ولا بالإنجيل دون الشريعة كالمسيحيين ، بل كانوا يقيمون التوراة والإنجيل معاً . وهذا مالا ترضاه اليهودية التى رفضت الايمان بالمسيح والإنجيل ، كما لم ترضى به المسيحية التى تقيم الإنجيل وتنسخ شريعة موسى ، وإنما قالت به النصرانية التى تؤمن بالإنجيل وتقيم فى نفس الوقت شريعة موسى ...

هذا المزيج من اليهودية والمسيحية فى « النصرانية » هو الذى حيّر المستشرقين فما اهتدوا إلى حل سوى أن هذه الأمة الوسط تكفّر اليهودية والمسيحية على السواء :

يقول عنهم جيروم فى القرن الرابع : « انهم يؤمنون بالمسيح أنه ابن الله المولود من العذراء مريم ، وأنه استشهد على عهد بيلاطس البنطى وقام ، ونحن أيضاً نؤمن بذلك ... ولكن بما

أنهم يريدون أن يكونوا يهوداً ومسيحيين ، فهم ليسوا يهوداً وليسوا مسيحيين – انهم « أمة وسط » بينهما ..

ويشهد عنهم المطران ابيفان فى القرن الرابع أيضاً بقوله : « انّ النصارى من اليهود ونزعتهم التهويد ، يتميزون عن اليهود بايمانهم بالمسيح ، ويتميزون عن المسيحيين بإقامة الشريعة والختان والسبت . فهم ليسوا مسيحيين ! وإنما هم يهود ، لا أكثر من ذلك . »

ويذكر عنهم أوسابيوس جامع التاريخ المسيحى (تاريخ الكنيسة ك٣ ف٢٧) « ان النصارى يقيمون التوراة والإنجيل ، ويؤمنون بمولد المسيح المعجز من بتول ، ويقولون انه ابن الله وكلمة الله وحكمة الله ولكن ذلك عندهم على المجاز لأنهم لا يعترفون بأزليته أى بالهيته » !!

وفى الواقع أنه من مآسى الزمن الكبرى ما أدركه المؤرخون من اعتبار « النصرانية » و « المسيحية » كلمتين مترادفتين ومتساويتين فى معناهما من كل الوجوه حتى أطلقت تسمية « النصارى » فى الشرق على المسيحيين بوجه عام ، كما عاد مذهب « الناصريين » إلى الظهور فى الغرب كما سلف البيان .. وهناك من يفتخر بهذه التسمية ممن قد فاتهم جوهر المسيحية وحقيقتها أو قد أعجبهم اسم « الناصريين » ليس إلا ، وهم يفعلون ذلك بعد أن فقدوا إدراك الفرق بين النصرانية والمسيحية !! فبينما النصرانية والنصارى تعبير خاص مقصور على قوم بالذات لا يصح إطلاقه على سواهم ، وهو لم يطلق أبداً على المسيحية والمسيحيين فى جميع ديارهم وفى كل تاريخهم ، وإنما شاع عنهم بين العرب باطلاق اسم « نصارى » على أهل الإنجيل جميعاً ، مع أنهم ليسوا كذلك كما يوهم التعبير الدارج ، وإنما قد امتد هذا الإطلاق تلقائيا بطريقة فرضية شمولية مطلقة على سائر المسيحيين فوا أسفاه !!

وفصل الخطاب إذاً أن « النصرانية » هى غير « المسيحية » ، وفى ذلك تبديد لوهم شائع يقع فيه الجميع حتى اليوم – وهو أن النصرانية والمسيحية شىء واحد بعينه ، فهما فى الرأى العام الموهوم إسمان لعقيدة واحدة – مع أن الحقيقة والواقع غير ذلك – فاننا نعرف من تاريخ الأديان على الوجه الصحيح أن اسم « مسيحيين » هو الاسم الشامل للمنتمين للمسيحية فى العالم كله ، مع تخصيص اسم « نصارى » باتباع المسيح من بنى اسرائيل !!

ومن هنا يتضح لنا أن « النصارى » ليسوا هم جميع المؤمنين بالمسيح ، وأن « النصرانية » تسمية تطلق الآن على « المسيحيين الاسميين » الذين ليس لهم ارتباط واقعى وحقيقى بيسوع

المسيح ، ومن ثم فان هذه التسمية ليست مرادفة لتسمية المؤمنين الحقيقين بالمسيحين على ما هو واجب أن يكون ، ومن ثم فان اطلاق اسم « نصارى » على المسيحين إنما هو تجاوز على سبيل التوسع الذى لا يوجد ما يبرره !! وذلك لأن النصرانية ليست هى بالمسيحية على الاطلاق !!

* * * *

وهكذا فات الكثيرون الفرق بين النصارى من بنى اسرائيل والمسيحيين من الأمميين ، وعلى رأسهم المستشرقون ، ولذلك فان **اطلاق اسم « النصارى » على المسيحيين من سائر الأمم « شبهة لغوية » قد وقع فيها الرأى العام منذ البدء إلى اليوم ، وسرت على العلماء والمستشرقين ، وكانت سبب الإضطرابات المتواترة فى العقيدة والتفسير والسياسة والتاريخ ...**

ومن نكد الدنيا على المسيحيين أن أطلقوا عليهم منذ الفتح العربى اسم « نصارى » ، مع أن النصارى وهم الفرقة الاسرائيلية التى آمنت بالمسيح هم غير المسيحيين التابعين للمسيح فى الدنيا كلها ، واتباع المسيح اليوم فى العالم كله مسيحيون لا نصارى .. **والمسيحيون أجمعون بكافة فرقهم يؤمنون بأن « المسيح ابن الله » ، وهذه هى عقيدتهم بالاطلاق** ولكنها ليست مقولة « النصارى » ولقد كان هذا الخلط هو سبب الشبهة التى وقعت على المسيحيين وهو الذى ورط المفسرين والمستشرقين فى تحديد الموقف من المسيح والإنجيل ! ، فان محور الصراع فيه هو المسيح أكثر من التوحيد !!

يتبين لنا من ذلك أن النصارى حصروا دعوة المسيح ببنى اسرائيل ، « رسولا إلى بنى اسرائيل » فجعلوه نبياً قوميا ليتفاضلوا به على المسيحيين ، وتناسوا أن دعوته كان معظمها فى الجليل أى جليل الأمم (مت ١ :١٥)

وإذن فان تسمية أتباع المسيح « نصارى » على الاطلاق ، واغفال تسميتهم بمسيحيين – مع أنه الاسم الشائع لهم فى الدنيا كلها ظاهرة غريبة ، لأن اطلاق اسم « نصارى » على المسيحيين وعلى النصارى من بنى اسرائيل يخلق ظاهرة « الازدواجية » التى تمنع التفرقة الواجبة !!

وهذه التفرقة قد ظهرت بالأكثر عند تفسير النصارى من بنى اسرائيل لمعنى وصف المسيح بأنه « كلمة الله »، إذ قد فهموا هذا التعبير على ضوء كلام فيلون – الفيلسوف اليهودى فى عصر المسيح – حيث كلمة الله عنده أول الملائكة أول خلق الله – فكانت هذه نقطة الاختلاف المركزية الأولى وارتبط بها دعوة المسيح نفسه « ابن الله» ، فهمها المسيحيون بنوة ذاتية فقالوا بألوهية المسيح ، وفهمها النصارى من بنى اسرائيل بنوة مجازية فقالوا بأن المسيح هو عبدالله لا إبنه فى الحقيقة والواقع : **كان هذا هو الفارق الجوهرى بين النصرانية والمسيحية ! انه هو الذى قسّم أهل الإنجيل إلى نصارى ومسيحيين ، كما يفصل بين الاسلام والمسيحية ، هذه العقيدة النصرانية الواحدة فى المسيح لفظا ومعنى – وهى التى تسربت إلى الآريوسية فى مصر التى تمسكت بأن الله أحد (تث ٦ :٤) وأنه الصمد (كما فى أشعياء) ونفت الولادة فى اللاهوت ، فجاءت المسيحية وردت بأنه « مولود غير مخلوق » ، لا مخلوق غير مولود !!**

* * * *

ونفهم من رسالة يهوذا أنهم وان كانوا قد سلموا بالايمان بيسوع أنه المسيح النبى الاعظم مثل « موسى » ، لكنهم أنكروا ربوبيته وسيادته ! انظر قوله : « وينكرون سيدنا وربنا الأوحد يسوع المسيح » (ع٤) ، وكانوا ينتظرون عودة المسيح مع خراب أورشليم ، ولأن ذلك لم يحدث ، أنكروا وجدفوا ، وامتدت ردة النصرانية إلى الكفر بألوهية المسيح والكفر بالفداء فى صلبه ، ونتج عن ذلك أيضا الكفر بالتثليث والتجسد ..الخ هذه هى عقيدة « النصارى » ، وقد تمسكوا بها طوال عهد فترة ما بين المسيحية والاسلام ! لقد تركوا الصراط المستقيم وارتدوا وكان خيراً لهم لو لم يعرفوه (٢ بو ٢ :٢١) ، ورغم محاولة تحذيرهم لردهم إلى الصراط المستقيم فى المسيحية إلا أنهم أصروا على أنهم فى نصرانيتهم على الصراط المستقيم دين الحق !! وهذا ما كشفت عنه رسالتا بطرس الثانية ويهوذا !!

وتكشف رسالة العبرانيين على أن الردة عن حقيقة الايمان المسيحى بدأت تعم النصارى « العبرانيين » بتأثير الروح التوراتى والكهنوت اللاوى فجاءت هذه الرسالة معالجة رائعة لتلك

الردة ، فهى أفضل دفاع لاهوتى عن المسيحية فى البيئة الاسرائيلية ،كما أن الإنجيل بحسب متى أفضل دفاع تاريخى ، وكلاهما يتميز بالاسلوب البيانى ! وتبين هذه الرسالة أفضلية العهد الجديد على العهد القديم بوساطة « الابن » وكهنوته الروحى وذبيحته الخالدة ومن حيث التنزيل فكلام الابن أفضل من كلام الأنبياء عبيد الله ، كما تبين الرسالة أفضليته على الملائكة أيضا ...

وواضح من (اصحاح ٦) أن الردة عن المسيح كانت بالنسبة لهم الكفر بألوهيته بانكارهم انه ابن الله ، والكفر بصلبه ومعنى الفداء فى تضحيته ! وهذا الكفر المزدوج هو ما يميز شيعة النصرانية من سُنة المسيحية ، فابتدوا يرون فى رسالته شهادة لا فداء – مثلا لبنى اسرائيل – لا فداء للعالمين ، وحتى مؤامرة اليهود عليه ليس لها معنى الفداء !!

* * *

هذه هى الصورة الصادقة الناطقة التى وصف بها النصارى » من بنى اسرائيل والتى سرت منهم وأصبحت معتقداً راسخاً عند من تقبلوها عنهم وارتضوها عقيدة لأنفسهم فيما بعد حتى اليوم !! وقد أصبحوا يدينون بها فى شكل دين عام ويدافعون عنها معتبرين اياها «الدين الحق» وذلك دون فحص عميق أو إدراك دقيق مما نشأ عنه الكثير من البلبلة والصراعات غير المشروعة ولاهى بالمقبولة فى ضوء الشرائع السماوية واحترام حق الانسان فى حرية ضميره وعقيدته ودينه !!

* * *

الفصل العاشر

أهمية الوقوف على حقيقة المسيحية

« ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما »
(غل ١ :٨)

« لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة » (غل ٦ :١٥)

* * * *

عينات من أحاديث الناصريين الخرافية وأساطيرهم :

لاشك أن الكنيسة الأولى قد بذلت جهداً كبيراً فى سبيل تفهم حقيقة المسيح وتوضيحها وادراك المسيحية الاصلية على الوجه الصحيح ، وكان ذلك واجباً حتمياً استلزمه واقع الحال حتى يكون للمسيحى عقيدة تعبر عن ايمانه ويتميز بها عن غيره .ويستند بها إلى كتابه المقدس ، وهى بذلك محك الايمان الصحيح الذى يميز بين الحق والضلال على مدى الاجيال !!

كان ذلك استلزاماً قانونياً لكثرة ما كتبه الغنوسيون والناصريون من مكتوبات دعوا كلا منها « بالانجيل » ، وذلك بباعث التضليل لتفنيد ونفى ما أتت به « الاناجيل » الأربعة القانونية التى أقرتها الكنيسة – بعد الفحص والتمحيص – وإمعانا منهم فى تأييد باطلهم نسبوا مكتوباتهم إلى الرسل ، وإلى مريم ، وأسماء أخرى مبتدعة ، ممن اشتهروا فى هذا الاتجاه من معاصريهم ، رغم أن معظم ما ورد بها لا يعدو أن يكون مجرد أحاديث خرافية وأساطير .

–ونبدأ هنا « بانجيل العبرانيين » – الذى هو فى الحقيقة تحريف لانجيل متى – يقول عنه د . رستم مؤرخ الكرسى الانطاكى فى مقال له بمجلة النعمة عدد ابريل ١٩٦١ : « بأن هذا الإنجيل كان إنجيل العبرانيين الناصريين ، وقد كُتب بالارامية بأحرف عبرانية ، وشاع استعماله فى أواخر القرن الأول بعد الميلاد فى الأوساط النصرانية المتهودة ، واعتبروه الأصل الذى نقل عنه متى انجيله .. » أما جيروم فيقول عنه بأنه

« الإنجيل الذى شاع استعماله بين الناصريين فى عصره – وهم العبرانيون الذين قبلوا المسيح وارتدوا عنه » (تاريخ الكنيسه ليوساييوس ٣ :٢٥)

وكتب الارشمندريت إلياس اسطفان فى مجلة الصخرة (عدد يوليو ٧٤) عن هذا الإنجيل : « بأن آباء القرن الثانى ذكروا أن « إنجيل العبرانيين » هو إنجيل متى الرسول ، وكان المتنصرون اليهود قد شوهوه كما أرادوا : فانهم لما كانوا متحدين مع الكنيسة ، حفظوا النسخة الارامية من إنجيل متى بلا تحريف ولا تغيير – وهى التى بقيت سالمة حتى الآن وهى التى اعتمدتها الكنيسة – ولكن لما تركوا التعاليم الرسولية وعادوا إلى الاعتصام بالناموس الموسوى حذفوا منه عنوانه « إنجيل متى الرسول » وسموه « إنجيل العبرانيين » ، وانقسموا إلى فرقتين قامتا بتحريفه من النسخة القانونية !!

–ويشبهه « إنجيل المصريين » ، وهو أول كتاب ينادى بمذهب « الغنوسيين » ، أى المعرفة ، وملخصه أن المعرفة لا الإيمان هى أساس الخلاص – أى معرفة الكائنات التى تملأ الثغرة بين الله والإنسان ، واعتبروا المسيح واحدا منها ، **وقد غالوا فى سبيل ذلك الزهد فامتنعوا عن اللحم والخمر والزواج ، وقالوا بالتشبيه أى أن ابن الله لم يتخذ جسداً حقيقياً ولم يقتل ولم يصلب وإنما شبه لمن حوله بذلك – وقد وصل بهم الحال إلى تكريم الحية وعبادتها بالخرافات مذهلة ، وكان هذا هو مذهب الشيعيين من المصريين – لأن الحية كانت معبودة ومكرمة فى أرض مصر من قبل مجىء المسيح !!**

–ويلحق به « إنجيل بطرس » – وهو منسوب زوراً لبطرس ، وأهم محتوياته أنه لم يكن للمسيح جسد حقيقى بل شبه جسد ، وتبعاً لذلك فانه بذر الشك فى ما إذا كان المسيح تألم حقيقة عند الصلب عملاً بعقيدة الشبهة . ولهذا السبب جاء قول الرسول يوحنا « بأن كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله . »

–أما إنجيل توما فهو يحوى قصص طفولة يسوع ومعجزاتها منسوبة إلى توما الفيلسوف الإسرائيلى – وهى من الأخبار الكاذبة التى لا يركن إليها ، وهى ليست من وضع توما الرسول بل من المؤلفات الابوكريفا – ورد فيه أن يسوع – وهو فى سن الخامسة –

أبدع من الطين فى يوم سبت اثنى عشر عصفوراً حياً ، وأمات ولداً وحوله إلى شجرة ثم أيبسها بكلمة لأنه غضب عليه ، ولما طلب أهل الولد من يوسف أن يعلم ابنه مباركة الاولاد لا لعنهم أصيبوا بالعمى . وأنه عندما شرع البعض فى الاعتداء عليه لعنهم وأماتهم ثم أحياهم – وما إلى ذلك من الخرافات .

–وإنجيل فيلبس – وهو على نفس النمط يتجه إلى أن المعرفة هو طريق الخلاص لا الايمان والفداء ...

–وهناك إنجيل مزور باسم يوحنا ، فحواه أن يوحنا الحبيب هذا بينما كان يصلى ذات يوم فى الهيكل – وبخه أحد الفريسيين على اتباعه يسوع وانحرافه مع سائر التلاميذ عن تقليد الآباء وسننهم ، فكانوا يلومون أنفسهم على ما فعلوه إلى أن ظهر لهم يسوع ووبخهم وأوضح لهم تعاليمه ، ولكن كبر عليهم أن يذهبوا إلى الأممين للتبشير باسمه ...

–وآخر باسم إنجيل يعقوب أخو الرب وقد ورد به اسما والدى مريم (يواقيم وحنة) وأن اخوة الرب هم أبناء يوسف من زوجته الأولى ، ويقصد هذا الكتاب إلى تمجيد السيدة العذراء واعلاء شأنها ولذلك فقد حمل العنوان التالى : « ميلاد القديسة مريم والدة الإله والفائقة التمجيد أم يسوع المسيح » وهذا الكتاب يحمل كذباً اسم يعقوب أخو الرب لأنه يبدو من مضمونه أن كاتبه يجهل الكثير عن الديانة اليهودية ...

وقد ورد به أن الملاك بشر أم مريم بأنها ستلد إبنا يشتهر عزه فى كل الأرض ، وأنها ستكرس المولود – ذكراً كان أم أنثى – لله العلى ، فولدت مريم ، وفى الثالثة من عمرها قدمها والدها للهيكل ، وكان الملاك يأتيها كل يوم بطعامها ، وفى تمام العام الثانى عشر جمع رئيس الكهنة الرجال الأرامل وأعطى كلاً منهم عصا ، وكان بينهم يوسف البار الذى ازهرت عصاه وخرج منها طير حمام استقر على رأسه فأخذها إلى بيته إلى أن جاءتها البشرى :

–وهناك إنجيل متياس يعتبره جماعة باسليدس حجتهم فى كل شىء – وهو من الغنوسيين ادعى بأن متياس الرسول لقنهم أقوالا سرية من فم الرب يسوع – ويحتوى إنجيله على تعدد الزوجات وتحليل ارتكاب الجرائم وورد به هذا القول : « أن المسيح ما جىء به إلى مكان الصلب ، وكان سمعان القيروانى حاملاً صليبه ، جعل وجه سمعان مماثلا

لوجهه ، فصلب اليهود سمعان وهم يظنونه يسوع ، وكان يسوع واقفا بعيداً يهزأ بهم ثم صعد إلى أبيه !

–وهناك أناجيل اخرى بأسماء اندراوس ، وبرثلماوس ، ويعقوب ابن زبدى ، ونيقوديموس ، بل منها إنجيل منسوب لمريم وآخر ليهوذا الأسخريوطى نفسه : وضمن ما ورد بها أن يسوع كلم مريم وهو فى المهد ، وأنه كان مربوطاً بالمزود ثور وحمار – فسجدا للطفل يسوع ، وانه وهو فى الثانية عشرة سافر إلى الهند وحل فى دير للبوذية بالتبت بعد مروره ببلاد فارس وأفغانستان حيث وقف على تعاليم بوذا ولما عاد أذاعها على الشعب ... ! ولاشك ان حكاية هذا الإنجيل الهندى هى من قبيل الاساطير التى ينشرها بعض واضعى الكتب الروائية الخرافية لمجرد التسلية أو لترويج مبادئهم الفاسدة ! والظاهران أنصار مذهب الغنوسية كتبوا عدة مؤلفات ونسبوها جميعها إلى الرسل حتى يعظم شأنها ، ولأجل التمويه للحمل على قبولها ، وهى مؤلفات مزورة لترويج هرطقاتهم !

–**أما إنجيل برنابا فهو خليط من البشائر الأربعة ومن الأناجيل المزورة ، ومن عدة أساطير حاخامية** ، ينبر على أن يسوع ليس هو المسيا المنتظر ، وأنه أنكر ألوهيته وكونه ابن الله ، وأنه لم يصلب وإنما الذى صلب هو يهوذا الخائن ... ومن أراد أن يقف أكثر على حقيقته فليطلع على كتابين أحدهما : « إنجيل برنابا – إنجيل مزور » والآخر : « إنجيل برنابا – هل هو الإنجيل الصحيح » – طبعة ثانية فى سبتمبر ١٩٩٢ .

مأساة الشعب القديم « اسرائيل » :

بحسب الإعلان التدريجى وجد شعب « اسرائيل » نفسه مطالباً بإيفاء بر الناموس لأجل القبول أمام الله – وكانت مأساتهم بعد ظهور المسيح أن إيمانهم كان مبنياً على مفهومهم عن كيفية نوال المركز الصحيح مع الله بحفظ الناموس ، فرفضوا المعرفة التى أتى بها الإنجيل إليهم ...

أما الأمم فقد وجدوا أن الخلاص – أى التبرير – إنما هو من مجرد الايمان بالمسيح – وقد اعترف بذلك بعض اليهود ، أما الأمة بأسرها فلم ترد الاقرار بأن الايمان بالمسيح هو طريق الله لهم للبر .. !!

ظهر ذلك بازاء تأكيد بولس أن طريق الخلاص بسيط للغاية : لقد جاء المسيح من السماء ليخلصنا ، وقد أقيم من الاموات وأكمل عمل الفداء – هذه هى رسالة الإنجيل ، وهذه هى المسيحية ، وهو ما يجب أن نؤمن به ! وهذا هو الطريق الوحيد للدخول إلى مقام صحيح للحياةالغالبة المبرّرة .. إن مركز الرسالة فى المسيحية هو « يسوع المسيح الرّب المخلص » ، والله بها يُقدّم خلاصاً مجانياً لكل من اليهود والأمم .. !!

أما اليهود فقد رفضوا الرسالة ولكن ليس كلهم ، إذ بقيت منهم بقية ، دليل على أن الله لم يرفض شعبه نهائيا – هذه البقية هى المسيحيون من اليهود ، كدليل على أن الله لم يترك شعبه ، أو ألغى قصده من جهته – وان رفضهم لم يكن إلا وقتياً ، لاعطاء الامم فرصة لقبول الإنجيل بدون كبرياء عنصرية أو تعقيدات قومية !!

وبينما يطبق بولس إنجيل الخلاص هذا على شعبه نرى بوضوح أن الذين يرفضون المسيح لا يخلصون : فإما الاعتراف بالمسيح كحجر الزاوية الرئيسى أولا يكون لنا مكان فى هيكل الله الروحى ... إن كنا نؤمن به لا نخزى ، اما إذا رفضناه وتعثرنا به فاننا نسقط وتتحطم نفوسنا – وللكرازة بالإنجيل واحد من هذين التأثيرين على الناس ، فاما أن يجدوا فيه ملجأ يحتمون به ، أو عثرة يتعثرون بها ويقعون تحت الدينونة (١بط ٢ :٣–٨)

ولا يزال هذا الموقف قائماً هكذا إلى نهاية الزمن حين يتم الفصل النهائى فيما هم فيه مختلفون فى ضوء هذا الاختيار المعروض عليهم بقبول المسيح أو رفضه !!

ظهور قصد الله السامى فى المسيحية :

فى الوقت الذى فيه تخبط النصارى فى دياجير الظلام بما سردناه عن قبولهم الغنوسية وضلالاتها وانكارهم العقائد المسيحية عند ردتهم عن المسيح وكانت خرافاتهم وأساطيرهم سموما سرت فى الكيان الدينى العام بأسره ، وذلك فى الوقت الذى تحجرت فيه اليهودية وتمسكت بالقديم ورفضت التقدم لاستلام « تكملة الإعلان الإلهى » الذى جاء به المسيح ورسله ، قدم الله فى المسيحية إعلاناً شاملاً للإنجيل مبيناً به خلاص الجميع بشرط التحول عن الانتساب القديم لآدم إلى الانتساب ليسوع ، ليس الناصرى فحسب ، بل يسوع المسيح أى « المسيا المنتظر » !!

ذلك الإنتساب الذى بدأ فى الظهور فى كنيسة انطاكية – الأممية – كأساس للمسيحية الأصلية ، وكان أول ما تضمنه هو هذا الإنتساب المتميز ليسوع المسيح ، ولكن دار الزمان دوراته فأخفى هذا الإنتساب المبارك ، حتى أضحى من أشق الأمور الآن أن لا يحمل المرء اسما آخر سوى اسم « مسيحى » حتى أن كل من يرفض أن يعلن هويته أو مذهبه يتعرض للهزء حتى من المسيحيين الآخرين أنفسهم من المتعصبين لمذاهبهم ... !!

وبالرغم من أن الإنتساب المتميز لاسم « المسيح » يعتبر أعمق عقيدة فى المسيحية ، لكن وجه الغرابة بشأنه أن مجموع المسيحيين يعترفون بيسوع الناصرى أنه المسيح (المسيا المنتظر) ، ومع ذلك يتناقضون ويتنافرون بسبب اتخاذهم تسميات خاصة من شأنها أن تعزل المسيحيين بعضهم عن بعض سواء بأسماء الأقطار أو القادة أو الفرائض أو النظم والعقائد – وهذه كلها فى الواقع انكار سافر لهذا الإنتساب الذى ظهر منذ البداية تحت إسم أشهر الأسماء المعبرة عنه وهو « مسيحيين » – كل هذا فعلته الانتماءات الطائفية ، وليس هناك طريقة أخرى تحقق لنا هذا الإنتساب المتميز وتعيدنا إليه سوى التخلى عن هذه الإنتماءات المستحدثة !!

إنجيل المسيحية الذى اؤتمن عليه بولس :

ولاشك أن خير ختام لهذا البحث الفريد ما سنقرره من جهة إنجيل المسيحية – وهو إنجيل الغرلة (أى الامم) الذى هو إنجيل نعمة الله – وهو الذى كان يكرز به بولس ، والذى دعاه « إنجيلى » وهو الذى يعتبر بحق رسالة المسيحية الخالدة ، والذى نتبين منه حقيقة المسيحية الواجب الوقوف عليها ، وهو اساسا إنجيل لم يشترط أى شروط مطلقاً سوى الإيمان بالمسيح !! فاصبح موقف اليهود بالنسبة لهذا الإنجيل متساوياً تماماً مع موقف الأمم فى احتياجهم للخلاص بالنعمة عن طريق الإيمان فقط (غل ٢ :١٦ ،١٥) إذ صارت المناداة بالخلاص لجميع الناس بغير شروط فيما عدا قبول الفداء ...

لقد كانت اليهودية من قبل تفرق بين اليهودى الأصيل – أى المولود يهوديا – واليهودى الدخيل – أى الذى كان وثنياً من قبل وصار يهودياً – أما المسيحية فلم تقر ذلك لأنها تتطلب قبولاً شخصياً سواء من الذين يولدون فى نطاقها أو غيرهم على حد سواء !!

ويتضح من الوقائع التاريخية أنه بسبب موقف اليهود من رفضهم يسوع « كالمسيا » وتأجيل الملكوت تبعاً لذلك ، دعا الله بولس وائتمنه على « إنجيل النعمة » ، وفتح به الباب لدعوة

الأمم ، وإعلان انتهاء الفوارق والفواصل جميعها ، فبدأ بذلك تكوين « الكنيسة » من جميع الذين آمنوا سواء كانوا من اليهود أو من الأمم ، إذ أطلق عليهم منذ ذلك الحين فصاعدا اسم « المسيحيين » .

وهكذا ظهر إنجيل نعمة الله المجانية واحتل مكان إنجيل الملكوت المشروط – ومع ذلك فان هناك من لايزال يكرز حتى الآن فى قلب المسيحية بانجيل الختان ، وما أكثر الذين قاموا بالخلط بين الإنجيلين مما دفع بالحق الحاضر إلى التشتت فى وديان المتاهات !! ويبدو ذلك واضحاً فى الشروط الطقسية التى يحتم أهل التقليد فرضها وممارستها فى شكل أسرار الكنيسة السبعة ، والصيامات ، واسباغ استحقاقات غريبة للفريضتين ، المعمودية والعشاء الربانى ، هذا وقد ظهرت مذاهب حديثة سلكت نفس النهج فاشترطت للخلاص حفظ السبت والالتزام المطلق بالعشور ، وهكذا تكاثرت شروط الخلاص على خلاف ما يتضمنه « إنجيل النعمة » !! وقد جاء هذا كله خروجا على ما أعلنه بطرس فى مجمع أورشليم بقوله : « لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص (أى نحن اليهود) كما اولئك (أى الأمم) أيضاً » (أع ١٥ :١١) ، ومن ثم فان مثل هذه الشروط المدخلة أمر فى غير كله به تغيير لمعالم إنجيل الخلاص الذى تتميز به المسيحية !! وسنرى فى بحث آخر إن أذن الرب معالم المسيحية الأصيلة وضرورة العودة إليها ...

نخلص من هذا كله أن ربط أى شروط الآن – أياً كانت – بانجيل النعمة المجانية ، يجعله غامضاً ومعقداً ، بالإضافة إلى عدم إمكانية الفهم الصحيح له بحسب ما عرضته كلمة الله فى هذا المجال !! وبهذا نختم هذا البحث الفريد عن « النصرانية » المذهب الوسط بين اليهودية والمسيحية وذلك لمعرفة الحقيقة وإيقاف الضلال الناجم عن خلط إبليس النصرانية بالمسيحية كوسيلة من وسائل إهلاكه للبشر !!

* * * *

تم بعونه تعالى وكان الفراغ من إعداده فى التاسع والعشرين من شهر أبريل لسنة ١٩٩٣

رقم الإيداع ٨٣٧٥ / ٩٣

هذا الكتاب

هو شمس الحقيقة الساطعة التى تكشف عن المسيحية الصحيحة وتميزها عن «النصرانية»، وبينما هى تضع «اليهودية» فى موضعها الصحيح باعتبارها مطلع اعلان الوحى المكتوب إلا أنها تحقق جمودها وتوقفها دون متابعة ذلك الإعلان حال كونه يتجه إلى الاكتمال فى المسيحية ...

أما «النصرانية» فى حد ذاتها فهى حالة الوسط فى فترة الانتقال ما بين اليهودية والمسيحية ولقد كانت تموج بشتى الفلسفات والآراء المتطرفة والتى تجمعت فى محاربة المسيحية حتى الآن !!

وهذا البحث – وهو مما لا يوجد له نظير فى اللغة العربية – قد تمت كتابته بارشاد من روح الله ليرد عن «المسيحية» الكيد الذى يُراد لها ، ويواجه افتراءات غلاة المتطرفين عليها بما ورد به من وقائع تاريخية وتفسيرية !!

ويتكون هذا الكتاب من فصول عشرة يبدأ الأول منها ببيان عن : «**الجذور التاريخية المشتركة للديانة الكتابية**» ويبين الثانى : «**ملكوت الله فى معناه المطلق**» ، وأما الثالث فيدور حول : «**ظهور الملكوت فى شخص يسوع المسيا المنتظر**» ... فى حين يحدثك الفصل الرابع عن : «**الناصريون الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية**» ويليه الخامس فيسرد لك تاريخ : «**فترة الانتقال على مدى أربعين عاما**» ، أما السادس فيشرح : «**صراع الناصريين المزدوج مع اليهودية والمسيحية**» ، ويتحدث الفصل السابع عن : «**مجمع أورشليم يحدد الموقف من الناصريين**» ويريك الثامن : «**تاريخ شيعة الناصريين وما انتهى إليه أمرهم**» – أما التاسع فيؤكد لك : «**بطلان الربط بين النصرانية والمسيحية**» وأما الفصل العاشر والأخير فيعلن لك عن : «**أهمية الوقوف على حقيقة المسيحية**» وبعد نستودع الكتاب بين يدى القارىء الكريم وهو يتحدث عن نفسه شهادة حق لأبناء هذا الجيل «جيل النهاية» وذلك لمن أراد الوقوف على الحقيقة لذاتها !!

الثمن ١٤٠ قرشاً